جريمة نائمة

مجموعة قصصية

الطبعة الأولى
2020م- 1441هـ

ديوان العرب
للنشر و التوزيع

ملحوظـــــــــة: حقوق الطبع جميعها محفوظة للمؤلف

عنـــوان الكتاب: جريمة نائمة

اســـم المؤلف: عفاف علي

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقم الإيـــداع: 10268 / 2020

الترقيـم الدولي: 978 – 977 - 6792 - 88 - 3

تصميـم الغلاف: محمد وجيه

التدقيـق اللغوي: د. أحمد عزت

التنسيق الداخلي: محمد وجيه

رقـــم الطبعـة: الطبعة الأولى

المديـــر العام: فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشـــر الكلي أو الجزئي، أو نســـخه أو تصـــويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شـــبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مســـبق من المؤلف أو الناشر.

جريمة نائمة

مجموعة قصصية

عفاف علي

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع
ديوان العرب
حقق حلمك

إهداء

إهداء إلي صديقتي وأختي الغالية: زينب جابر محمد

أين كنتِ عندما تعذبت روحي من الوحدة والفراق؟

أين كنتِ عندما مرض القلب من الحزن والقهر؟

كنت هنا بجوارِكِ يدي في يدك، ضربات قلبي تنبض لكِ بالدماء،

نعم كنت معكِ، كنت حولكِ في كل مكان،

لكن لا تلوميني فروحي معك،

وجسدي في السماء...

عفاف علي

****

قلبٌ عازبٌ

تحترق حروفها العذبة على سطور الوحدة، تفرّغ غضبها في القصائد، حروفها مصيدة، تصيد القلوب الطيبة، امرأة عاشت في الجحيم؛ فخرجت من الجحيم؛ لتحب رجلًا لم تعرفه قط، كانت بين أنياب الحياة تمضغ فيها الأيام، تعرفت عليه وهي تحت الحطام، رقَّ قلبه لها، وتعلقت بها العينان، فقرر انتشالها من الفقر والحرمان، وأسكنها قلبه وروحه، صنع منها نجمةً تلمع في الفضاء، يحسدها الصديق قبل العدو، متوّجة هي على رأسه، كانت طفلته المدللة؛ لكنها لا تملك قلبه، برغم أنها أحبته أكثر من روحها، وكم من مرات أباحت بحبها له! وكم من المواقف التي أثبتت فيها حبها له! إلا أنه لم يستشعر هذا الهيام كله، فقلبه معلق بامرأة من زمن لم يأتِ بعد، ففي رسائل غرامه، هناك سطر محذوف لم يُكتب بعد، وفي أبياته تسكن حورية في قصر، في عالمه جزء مجهول يعيش فيه بصمت، كانت الدموع تروي خدها كل ليلة، فهو برغم حنانه يعشق بطلات قصصه، يطارد في خياله امرأة ويصالح أخرى، ويركب الأمواج مع أخرى، رجل عاش في الخيال لوحده، يعبث بالأقلام والحروف فقط، عاش لنفسه و لإبداعه، ليتحدث الناس باسمه، ويضع بصمة في عالم

الأدب؛ ليصل بها للعالمية والشهرة، مسكينة هي فقد أحبت رجلًا بقلبٍ عازبٍ، لا يؤمن بالحياة الزوجية.

****

عندما ينطفئ شعاع الشمس

عندما قتلته بعاطفتها، تذكرت أنها كانت فتاة مشرقة، تزهر في كل الفصول، لم يصِبها العطب أو الذبول في حياتها، رغم تكرار الفصول، فصيفها من نسيم بسمتها، يعلو الهواء وترتجف القلوب، وشتاؤها فيه حرارة المشاعر تذوّب القلوب، ربيعها من عطرها يثور، وخريفها من عينيها يُنعِشُ القلوب، فيها سرُّ الوجود، تعبث دائمًا بالضحكات، تعبر عن الماضي البعيد، وعن مستقبلها المجيد، تشيّد أحلام البنات، وتطرز فستانها الأبيض بالأفراح، وترنو للسعادة والحبور، حتى أن النفوس السوداء تشرق عند رؤيتها بالنور.. فهي شمس ابنة الثلاثين عامًا، تلعب في حضن الوحدة بهدوء، تبث في بيتها الهادئ ألحان النقاء، لم تقرأ روايات الحب، لم تقترب من كلام الهيام، لم تعرف معنى السهر والغرام، كانت نقية بيضاء، كانت سلاح من ماء ونار، جذبت بشقاوتها كل الأنظار والقلوب، وفي عزّ صباها ظهر من بعيد رجل، لاح في الظلام كفارس همام، جلب معه الضوء، وهبها الحياة، غيّر معالم الحياة في عينيها، رأت فيه جسد شيخٍ، وروح شاب، لم تشعر بأنها فريسة مقتولة يومًا

ما، وأنها تسير في طريق الهلاك، هبّت مسرعة نحوه، تحارب من أجل البقاء، تجري حافية من أجل الوصول إليه، تريد الركوب على ظهر فرسه، ربما تريد الطيران بعيدًا عن السرب، تريد أن تفوز بنهر الحب، لم تعرف أن الصياد جبان، وأن فريسته ليست بأمان، وأن العاشق يقتله قلبه وليس الحب، مدت إليه يدها؛ فقبلها بحنان، فذابت كل سجون الأمان، حطمت أمامه كل جدار، وتحولت فصولها لربيعٍ مثمرٍ طوال العام، ومرت شمس على سحاب الغرام، وتذوقت كل أنواع الحب، وسقطت في براثن الشباك، فتحولت حالتها من حال لحال، تساقطت دموعها بعد روحها على الأرض، بدأت تحترق كالفراشات، فالضوء ليس باردًا لكنه نار، أصبحت كالوردة التي قطفها ابن الجيران لحبيبته، وقدمها لها بلا كلام، فألقتها في كتابها القديم، حتى جفت وسط الحروف والكلام، حاول معها جميع الأصدقاء، أن يخبروها حقيقته قبل سقوطها، لكنها عرفت حقيقته وأنه رجل جبان، لكن هيهات فلن يفيد الكلام، فهي امرأة أحبت وتزوجت وأنجبت، وبعد كل هذا قررت الانتقام، زرعت في حديقتها خناجر مسمومة بالهيام، تحصد كل يوم خنجر، وتطعن قلبها الذي خان، ومن شدة الألم، تحولت حياتها لخريف مظلم، تذروها رياح القهر والبعد والهجران، امرأة رأت الأمان في رجل، تحول في لحظة لشيطان،

يعشق تحطيمها وانكسارها وانعزالها عن عالم الأحلام، قررت أن تصنع عاصفة، لعلها تعيد ذلك الحب من الركام، روت قلبه الميت بالأحلام، واستهلكت كل قوتها في صناعة الأوهام، فعاش سعيدًا لمدة عام، لكنه سقط قتيلًا مرة أخرى، وتم دفنه مع الأحلام.

****

أحلامٌ من ورق

كنت أمر بظروفٍ قاسيةٍ وحزينةٍ، وفقدتُ قدرتي على الكتابة، لم أجد في عقلي أفكارًا جديدة، لقد زاد حزني من تكرار نوبات الاكتئاب عندي، فأردت أن ألجأ لمرشد نفسي، لأعرف منه بعض التمارين التي تبعد عني نوبات الاكتئاب، خصوصًا أنني كاتبة وأتقمص أدوار الأبطال كثيرًا، لجأت لمستشفى قريبة من بيتي، أسمع أن صاحبها دكتور مشهور، عندما دخلتها كنت أبتسم، وأقول في نفسي: ماذا سيقول المرشد لي؟ هل سيقول أنّني مجنونة؟ أم ماذا سيحدث؟ وفي طريقي إلى مكتبه، جذبني وجود عجوزٍ تجلس تحت شجرة، حولها الكثير من الكتب، كانت تقرأها وتمزقها ثم تصنع منها عرائس، وتصنع أزهارًا وطائرات، نسيت عند رؤيتها لماذا جئت إلى هنا؟ وجلست بجوارها، فجذبني منظر الكتب، فكل الكتب كانت روايات قديمة، روايات لايفهمها إلا أديب متمكن، فقد قرأت معظمها وأحفظه، عندما جلست بجوارها بدأت تتطلع نحوي، كأنها تتعرف عليّ، لقد شعرت بالخوف منها، فنظراتها حادة جدًا، خشيت أن تضربني، قمت مسرعةً من جوارها،

حتى أنني سقطت على وجهي من شدة فزعي، جذبتني يد ممرضة، وهي تقول لي: من أنت أستاذة؟ لقد فقدت القدرة على الكلام، أنا لم أعرف من أنا؟ هدأت الممرضة من روعي وقالت لي: لا تخافي هي لم تؤذِ أحدًا، أخبرتني أنها تعشق قراءة الروايات، وأنها مرت بظروفٍ غامضةٍ، ثم هدأت ونظرت نحوي وقالت: لقد عاشت في أسرة صغيرة فقيرة، تعلمت أن تبرز أنيابها أمام الحياة، لكي تعيش في أمان، كانت تعيش في ضيق شديد، فالفقر مع الجهل يصنع المستحيل، لكنها كانت تحلم بمستقبلٍ باهرٍ، كانت تشتاق للسعادة كما يشتاق الظمآن للماء، لكنها لم تعرف أن الظمآن عندما يسير في الصحراء، تتحول الرمال من بعيد أمامه إلى ماء، وعندما يصل إليها بعد عناء، يجدها سراب مجرد رمال، لم تعلم أن السعادة تكمن في الرضا، تكمن في الحب، تكمن في العطاء، تكمن في احتواء الأسرة، كانت تشتاق للأحلام الوردية، كأن الممرضة تتحدث عن نفسها، وليس عن المرأة العجوز، فالكبت يصنع ألف حاجز وحاجز، صمتت الممرضة للحظات وقالت أخبريني من أنت؟ قلت لها: أنا كاتبة وودت أن أجمع قصصًا من هنا، وأريد أن أكتب عن شخصيات حقيقية، رفضت الممرضة أن تكمل حديثها معي، وتركتني أمام غرفة الطبيب، طرقت باب الغرفة ودخلت، وجدت طبيبًا عجوزًا أنيقًا يجلس

في هدوء، كأنني أعرفه، حتى رائحة عطره أحفظها، طلب مني الجلوس على كرسي أمامه، نظر لي بلا مبالاة وقال: ما الذي يزعجك؟ وددت أن أخبره أن عينيه لونهما عسلي، لكن خفت أن يتهمني بالجنون، قلت له: أنا كاتبة وأعيش تفاصيل وأحداث كل قصصي، وبعد كل رواية يصيبني حالة من الاكتئاب، وأريد بعض المساعدة منك، رفع عينيه نحوي وقال لي: أظن أنك كاذبة وقد جئت إلى هنا للبحث عن بعض الأفكار، عمومًا أنت بخير ولست مجنونة، هيّا ارحلي، رفضت القيام من أمامه، فعينيه فيهما الكثير من الروايات، وفي لحظةٍ ما سقطت من عيني دمعة، لقد شعرت بالحزن، نهض من على كرسيه، وأمسك بمعصمي وجرني للخارج نحو غرف المرضى، عند أول غرفة قال لي: هذه أحلام كانت فتاة مميزة، كانت الفتاة العاقلة الناضجة المسؤولة عن أسرتها، جاءت لهنا بسبب هلوسات عقلها، لقد فردت جناح الخيال، وطارت كما تطير الحروف على السطور، صنعت لنفسها أحداث رواية من الأحزان، وتقمّصت دور البطلة، ظنت أن العالم سيصفق لها، كانت تقرأ في كل يوم رواية، وتتقمص الأدوار، ومن كثرة القراءة سقطت في حب بطل روايتها، ومع ذلك كانت أديبة مبدعة، هل تريدين معرفة قصتها أيتها الذكية، تعالي هنا، جذبني مرة أخرى من معصمي وقال لي: اجلسي هنا،

أحلام كانت فتاة بدأت تشعر أنها مختلفة عن الآخرين، ابتعدت عن الجميع، رفضت قواعد المجتمع، وسجنت نفسها في عالم الأوهام، بدأت في روايتها عام ١٩٩٥ وللآن لم تنهِها، قلت له بمكرٍ وما اسم روايتها هذه؟، نظر لي بيأس وقال: لحظة يا آنسة، لقد تعبت من تكرار هذا الموقف، خرج قليلًا ثم عاد وهو يحمل في يده صندوقًا ممتلئًا بالأوراق الكثيرة، وقال لي: خذي هذه الأوراق ثم عودي لي بعد قراءتها، حملت الصندوق وهربت مسرعة نحو غرفتي، ربما أنا من ستكمل الرواية، لكن في غرفتي وعلى سريري شعرت بالرعب والخوف، فبعض الأوراق عليها آثار دماء، لكنني مصرة على تكملتها، كان عنوان الرواية (شجرة الصفصاف) تحكي قصة رجل عشق فتاة حد الجنون وانتحر من أجلها، كان الطبيب يكذب عليّ، سأعود لأوبخه، أمسكت مرة أخرى بعض الأوراق، وبدأت أقرأ حتى وصلت عندما كان يخبر البطل حبيبته أنها ستظل في قلبه رغم المسافات، اندمجت مشاعري معه، وظللت طيلة الليل في قراءة جملة واحدة له،(حبيبتي عندما أغيب ستغيبين معي سنموت سويًا، ويحيا جسدك المريض هنا، فروحك ستكون معي نجوب في عالمنا الجميل) أعيدها وأكررها أكثر من مرة، أشعر بأن قلبي يتمزق لماذا اختار هو الموت واختار لها الضياع؟ لماذا كان في حبه أنانيًا؟ لماذا أحببته بكل

قوتي؟ وأغمضت عيني من الإجهاد حتى الصباح، فصوت الطبيب كل صباح يزعجني، عندما يقول أحلام هل استيقظتي؟ فأنا لم أنهِ روايتي الوحيدة (شجرة الصفصاف)

****

نعم قتلتها

تعبر الطريق وهي تعيسة، تشعر أنها بلا فائدة، شيء ألقاه الزمن على الطرقات، تمر أمام دار المسنين والعجزة، الذين ألقتهم أحزانهم هنا، سارت مع قدمها إلى هناك، تريد بعض الحنان من أحدهم، لم تجد في نظرات هؤلاء العجائز شيئًا يذكر، وجدت عيون باهتة ومظلمة، وجدت عيون مقتولة، لا يوجد بها نظرة حب وعطف واحدة، لكن وجدت أخيرًا ضالتها، يقف هناك رجل عليه الوقار والهيبة، كان مسؤولًا في إحدى المراكز المرموقة، طلب منها أن تناوله زجاجة ماء؛ ليتناول الدواء، في يده فنجان قهوة قديم، عليه صورة روميو وجوليت، عرفت أنه بقايا لقصة حب ضائعة، أخذت تزور كل شهر هذا الرجل، تجلس أمامه لساعات، بلا كلام أو حوار، فقد تجلس صامته، في زيارتها الثالثة له، جلبت معها هدية له، كانت عبارة عن فنجان قهوة بشكلٍ جديدٍ، لم يعجبه الفنجان، لكنه ابتسم لها وقال في هدوء: هي لم تكن مثلك يومًا، لم تكن جريئة ومنطلقة، إنها امرأة تسكن بداخل فنجان القهوة؛ هذه جملته الأولى التي دخلت قلبي، يكررها صدى صوته لي كلما حملت في

يدي كوب قهوة، أرادت معرفة من هي تلك المرأة التي سكنت فنجان قهوته؟. ولأنها مشاكسة ومنطلقة، أصرت على معرفة من تكون؟، زارته للمرة الخامسة، وكانت تحمل باقة ورد، بداخلها قطعة شيكولاته بطعم القهوة، لكنها لم تجده هذه المرة، لقد رحل عن عالمها، لم ولن تراه مرة أخرى، لكن ترك لها علبة صغيرة؛ أخبر الدار قبل وفاته، أنها قريبته، فاستلمت هذه العلبة وبعض الأوراق، لقد سقطت مغشيًا عليها، لم تتحمل الموقف، أخبرتهم أن لها مع الموت مواقف كثيرة، فالبكاء لم يعد وسيلة البوح بألمها، عادت إلى سجنها، وفتحت تلك العلبة فوجدت بها ذلك الفنجان، وبداخله خاتم بفص أحمر، ورسالة تحتوي على أربع ورقات، في الورقة الثانية وجدت تلك الكلمات(كانت عسلية العيون بيضاء البشرة، قصيرة القامة ترسم البسمة على وجوه الجميع، تعلمت منها أن أحترم قانون البيت الذي نعيش فيه، كانت امرأة؛ ولكنها هزت قلبي برحيلها، ليتها تعود من الماضي وتحتل أركاني مرة أخرى، هي تلك الوردة التي نبتت في حديقة منزل عمي رحمه الله، رواها بدماء المبادئ والعادات والتقاليد، عندما تخرج من بيتها تستحي من أشعة الشمس، فتتحول خدودها للون الورد، وتنير بسمتها كوكبنا المظلم، عندما تزوجتها كانت صغيرة بعمر الربيع ونضرته، كانت تقول لي: عمي أمام

الغرباء؛ كنت أضحك من غبائها، لكنني كنت أنا ذلك الغبي، كنت أقول لها: كيف تقولين لي يا عمي أمام أصدقائي؛ وأنت زوجتي؟!. تبتسم بخجل وتقول لي في صمت: وماذا أقول لك غير هذا؟ أذكر عندما صفعتها على وجهها أول صفعة، وهي تقف أمامي ترتجف، لا حول لها ولا قوة غير الاعتذار والبكاء؛ صفعتها لأنها لم تجهز لي الحمام كما أحب وتمسح حذائي، كنت شخصية أنانية، فبرغم أنني أكبر منها بعشرين عامًا، لم تكن هي طفلتي؛ بل كنت أنا طفلها المدلل، لم أفهم مشاعرها، كنت ذلك الرجل الذي لم تجد منه غير قسوته، كانت تستيقظ مع الفجر تعد لي متطلباتي، وأهم شيء فنجان القهوة السادة في الصباح الباكر، في إحدى المرات كانت تمازحني مثل كل النساء، تريد مني بعض الحنان والدلال، كانت دائمًا تبحث في داخلي عن الإنسان الذي مات، لم أقل لها حتى كلمة عطف أو شفقة، ولصغر سنها قالت لي: لماذا اخترتني يا عمي؟ وأنت تعرف الكثير من النساء الجميلات والمثقفات، أجبتها بكل برود وجمود : أنت غلطتي الوحيدة، لقد وجدت على وجهها لأول مرة ألف علامة استفهام، ومن ليلتها تغيرت في كل شيء، تبدل حالها أصبحت هزيلة جافة، تعيش في صمت، لقد ماتت بداخلها كل معالم الحياة، وبعدها بعام رحلت عن عالمي؛ لتسكن في السماء، وتركتني وحيدًا بلا رفقة أو

أنيس، أسكن في دار للعجزة ولدي عشرة أولاد) وفي الورقة الرابعة وجدت فيها اعترافًا بخط يده، يقول فيه: أنا من قتل وردة زوجتي الصغيرة، لم تكمل فتح باقي الأوراق، فضلت أن تبقيهم هكذا، لقد صعقها اعترافه بأنها تشبه وردته كثيرًا، وأنها هي تلك المرأة التي سكنت فنجان قهوته.

****

قلبٌ ورصاصة

كنت أسير في طريق الحياة، أسمع لصوت العصافير المغردة، لكنني منذ مدة أسمع صوت رصاص، ينتابني الفزع لكنني لا أعلم السبب، اليوم شاهدت رجلًا عجوزًا، يجلس في قارعة الطريق، يبكي ويأن كطفل صغير فقد والدته، اقتربت منه وطلبت منه أن أساعده كي يعود لبيته، لكنه رفض؛ وقال: ليس لدي هناك أحدٌ يسأل عني، فقد تركني الجميع، وددت لو أحتضنه وأبكي مثله، فأنا أيضًا ليس لدي أحد، طلبت منه أن أجلس بجواره، وبدأت أحكي له عن المعاناة في الحياة، أخبرته أنني يتيمة ووحيدة وأخبرته أنني أعاني من مجتمعي، أخبرته الكثير والكثير عني بلا أسباب، ربما رأيت فيه والدي، نظر لي ثم ابتسم وقال: أنك مجنونة ولكنك ملاك، سأروي لك قصتي عساك تفهمين سبب أحزاني، ولدت قبلها بسنوات كثيرة؛ لكنني انتظرتها حتى تكبر، لتحقق لي أحلامي الوردية، لم أعرف أنني أنتظر نهايتي على يديها الرقيقة، اسمي وجدي أعمل في شركة بترول، كانت حياتي ممتلئة بالأحزان والخيبات، أقل تلك الخيبات أنني كنت ضعيفًا غير واثق في نفسي أو

الآخرين، عندما قررت الزواج، تزوجت أجمل فتاة في عائلتي، اعتقدت أن الجمال هو المعيار الوحيد للمرأة، أو أنني أردت أن أثبت شيئًا لنفسي، فأستجبت لعيني واخترتها، واستمرت الحياة في قتلي، فبرغم كوني شاعرًا وكاتبًا إلا أن مشاعري ماتت من القهر، فالأبناء والمصاريف والحياة ومشاكل العمل، أنسوني متعة الحياة، كل ذلك جعلني أفقد الأحلام، عشت خمسة وستين عامًا في طاحونة الحياة، وفي إحدى المرات شاهدت عيناي حروفًا مبعثرة، قررت أن أجمع تلك الحروف المتناثرة، وصنعت منها كلمة واحدة كنت أحلم بها (أحبك) أجمل كلمة يود أن يسمعها أي رجل في حياته، أو قبل أن يموت وحيدًا، لم أدرِ أن الموت يحلّق فوقها، كم كان منظر عينيه حزينًا عندما تحدث عنها! قال: وفي إحدى الليالي جلست هنا، كنت أفرُّ من واقعي المؤلم، كنت أستكشف ما فعلته طيلة عمري، فمرت من أمامي فتاة بسيطة ملابسها هادئة، لكنها صاحبة أجمل ابتسامة، لقد تذكرتها تلك الفتاة كانت صاحبة الحروف المبعثرة، لم تضِع ملامحها البريئة من ذاكرتي، حملت نفسي وخرجت مسرعًا نحو الشارع خلفها، أبحث عنها في كل اتجاه، فوجدتها تشتري باقة ورد صغيرة، أسرعت نحوها كطفلٍ رأى أمه، اعترفت لها بحبي وأحلامي وأمنياتي، أمسكت يدها وقبلتها، أصبحنا روحًا واحدة، ونسيت كل ما يدور

حولي، لم أهتم إلا بها فحروفي لها وسطوري نسجت من عطرها، حلمنا ببيتنا الصغير الذي بداخله السعادة، طيرت أحلامي عاليًا وطلبت منها أن تصطادها، وعندما حلقت عاليًا رحلت، وتركتها بين سماء الأحلام والحب وبين السقوط على أرض الحقيقة والأشواك، فقط رحلت، تركتها عندما شعرت بأنها ملكي لكنني لست ملكها، أنا ملك ضعفي وعجزي، هز رأسه كثيرًا، ليهرب من ذاكرته التي تعج بالذكريات الحزينة، ذكريات مخزية تجوث حوله، تحت هذه الشجرة قابلت ملك، وهذه الشجرة شاهدة على قصة حبنا، الفتاة التي أحببتها من أول مرة رأيتها فيها، قتلت نفسها هنا من أجلي، عندما عجزت عن حمايتها، نهضت مرتجفة أشعر أن جسدي مخدر، هل يستحق هذا العجوز أن تموت فتاة في ريعان شبابها من أجله؟ لقد ضحى بها من أجل بيته وأسرته، وها هو يجلس وحيدًا يبكي على أطلالها، ينوح على أشلائها، نظرت له نظرات حقد وكره، كم شعرت أنني أكرهه! أسرعت بالهروب من أمامه حتى لا أصفعه، هو لا يستحق الشفقة فقد كذب عليها، لقد خدعها حتى سلب منها روحها، كان يقتات على مشاعرها، صوت بكائه خلفي يزعجني، التفت نحو الشجرة فلم أجده، لقد اختفى، ولكنني أسمع

أنينه، كأن صوته ينبع من قلبي، لكن يده تمسك بيدي، وتقول لي: ملك أنت حبيبتي وأنا أعيش هنا من أجلك، سامحيني

****

الفارس الأبيض

تحت شجرة توتٍ عملاقة، وقفت هي تبكي، تتساقط دموعها على رحيله، لقد طلبت منه وركعت أمامه، كي لا يرحل ويتركها فريسة لحبها وأحزانها، لم يستمع لكلامها المزين بالدموع، ولا لقهر قلبها المفطور، ظن أنه يستطيع أن يرحل، ثم يعود كعادته، لكنه نسي شيئًا مهمًا، لم يقرأ في كتبه، كيف تستطيع المرأة أن تداوي نفسها؟ أن تصنع عالمًا من أحزانها، تظهر السعادة وقلبها يعتصر ألمًا، لوّح لها بيده ثم رحل، هناك من بعيد رأت فارسًا متوجًا، رآها تشدو مع البلابل أحزانها، للطير والحجر تعزف وجعها، رآها تتساقط مع أوراق الشجر في فصل الخريف، جذب قلبه ذلك الحزن اللامع في عينيها، تملكه ضعفها وقلة حيلتها، لقد استولت على قلبه برقة مشاعرها، أحبها ودفع ثمن جرحها هو، تقرب إليها ومد يد الحب لها، بعد أن قتلتها الخيانة، كان لابد للراحل، أن يدفع الثمن للقادم، كلنا نسير في طريق ونترك خلفنا الأثر، نترك قلوب محطمة، أجساد ممزقة، وأحلام تائهة في سماء الألم.

****

ليالي الوحدة

يظهر خلف السحب سريعًا، تغازله عيون السهر، يعبث بالذاكرة، فيبدأ الحلم، قمر تمشط شعرها قبل النوم، ترتدي ثوبها المزخرف بالنجوم، وينتشر منها عطر الزهور، كأنها أميرة من كتابٍ مسحور، تقف على شرفتها تسلّط عينيها على النجوم، فتتساقط الشهب والنيازك، فتنسجم بينهم الأحاديث والنظرات، يغالبها النوم فتسلم له، فتحملها رياح الماضي للأيام البعيدة، حيث عالم الفضيلة، عالم الأرواح البريئة، يمد لها يده ويرفعها على غصن وردة جورية، تقف ممشوقة القوام كالفراشة، هي تشعر بالرشاقة فلم تعد تحمل أوزارًا أو ذنوبًا، فهي هنا تعيش في عالم الفضيلة، يحملها بين يديه، كوليد صغير يهدهدها، فتسقط من بين يديه على فراش من حرير وريش، لم تشعر بأي ألم فهي مازالت في عالم الفضيلة، يداعب بيده شعرها الذهبي الجميل، يلمس بأنامله خد القمر، فتستيقظ صارخة؛ في عالمنا لا مكان للفضيلة، فجميع مشاعركم رذيلة، فتعود مسرعةً لفراشها، وتغلق نوافذ قلبها، وتتوشح بلون السواد، فيختفي هو عند الفجر، وتظهر شمس الحقيقة، تلسع وجنتها

البيضاء؛ إذا تجرأت وأرسلت لها نظرة واحدة، فتقرر أن تطوي أحلام الفضيلة في ليالي الوحدة.

****

صرخة قلب

بين السماء والأرض، تحلّق طائرة ضخمة، تحمل بين طياتها جثمان شاب، الطائرة تهتز كثيرًا، والطيار يعلن حالة الاستنفار، الغريب أن الطائرة فيها الجثمان وقائد الطائرة فقط، يصرخ قائد الطائرة: أغيثونا أغيثونا، الطائرة ١٧ ترتفع بإنحدار شديد فوق البحر، الموقف مرعب جدًا، الطيار يتملكه الرعب فيقرر تسجيل الأحداث، يفتح الإرسال بينه وبين برج المراقبة، ثم يصرخ: هنا الطائرة ١٧ الضائعة فوق البحر المتوسط، أنا الطيار أحمد، ومعي جثة أكبر تاجر سلاح، ومعه زوجته بفستانها الأبيض تدعى رباب، ويعاود الإرسال مرة أخرى، أنا أحمد قائد الطائرة ١٧ الطائرة تسقط الطائرة تسقط، لكن لا أحد يسمع صراخه و توسلاته، يحتضنه اليأس والفزع، فهل سيموت ويغرق في باطن البحر؟ فجأة تهبط الطائرة بسرعة، وتقترب من مياه البحر، والطيار يصرخ ويصرخ حتى تحطمت على سطح البحر، ثم غاصت في الأعماق السحيقة، غاص في ظلام دامس ومياه شديدة البرودة، سقط أحمد من فوق سريره على الأرض، واستيقظ من نومه مفزوعًا، وهو يصرخ: يارب يارب، أخذ

نفسًا عميقًا؛ كأنه يسترد روحه، ونهض من فوق فراشه، نظر في مرآته وبكى بشدة؛ لأنه يعلم أن أعماله سيئة وأمواله حرام، كيف يقابل الله بأعماله السيئة؟ كان الكابوس يشبه الحقيقة، رن هاتف أحمد، رسالة واردة من مديره احضر الآن، فهناك صفقة تنتظر أن تنقلها بالطائرة. يغسل أحمد وجهه، ويقود سيارته نحو المجهول، يقف بسيارته أمام مطعم فخم، يدخل المطعم في ذهول وإعجاب، يقابل مديره محمد الذي يجمع له زبائنه المشبوهة، التي تهوى الطيران بطائرات خاصة منفردة، لكيلا يعلم أحد ماذا يحدث فيها؟ يسلم عليه، ويستلم الزبون، عندما نظر إلى الزبون، وجدها فتاة جميلة جدًا، صغيرة السن، يظهر على ملابسها وملامحها الثراء الفاحش، قررت أن تسافر في رحلة لجزيرة معروفة على المحيط هي وزوجها، نظر أحمد لوجه الفتاة فأعجب بها، لكنه يشعر بأنها كاذبة، فخلفها سر تخبئه، أحمد ينظر لها بحدة، كأنه قابلها من قبل، وهي تبتسم له، قال أحمد: سيدتي وأين زوجك؟ لماذا لم يأتِ معك؟ ابتسمت وقالت:

_هو مشغول جدًا؛ لا تقلق سأدفع لك المبلغ الذي تريده بشرط واحد فقط.

_أحمد: ما هو سيدتي.

_قالت: أن تقود أنت طائرتي الخاصة، فأنا لا أحتاج إلا لطيار واحد.

_أحمد: لكن لابد من وجود طيار مساعد.

_قالت: سأدفع لك أي مبلغ تريده لكن أنت فقط تكون مرافق لنا.

ينظر أحمد لمديره محمد وعيونه تلمع بالعديد من الأسئلة، لكن بريق الدولارات أعمى أنظارهما وجعلهما يوافقان بلا تردد، فهذه فرصة لربح مليون دولار، مقابل ثلاث ساعات طيران على المحيط، تبتسم الفتاة وتنهض، لكن تهمس في أذن أحمد موعدنا غدًا الساعة العاشرة صباحًا في المطار يا عزيزي، تخرج مسرعة نحو سيارتها، ويضحك محمد في وجه أحمد، ويقول له: هل هي معجبة بك؟ يقف مديره مع الفتاة يتجادلان ويضحكان، أحمد لا يضحك معهما، بل على وجهه ألف سؤال، هو لم ينسَ حلمه المزعج، يعود إلى بيته الفارغ من الحياة، فهو لم يتزوج ولم يكوّن أسرة، يعيش وحيداً، ومع دقات الساعة السابعة صباحًا، استيقظ أحمد من نومه مسرعًا، وارتدى ملابسه وأسرع للمطار ليجهز الطائرة للإقلاع، عند دخوله المطار لم يجد الطائرة الخاصة بشركته، لأنها طارت في رحلة أخرى، انزعج أحمد من مديره، فكيف يطير الآن؟ وماذا يقول لتلك السيدة؟ لحظات حتى حضر مديره محمد

وقال له: إن السيدة حجزت الطائرة ١٧ التي تنقل جثث الأغنياء؛ لأن زوجها قتلوه أمس، وهي تريد دفنه على هذه الجزيرة، نظر أحمد للسيدة فأسرعت الدموع تهبط من عينيها، ونظرات الانكسار تعلو وجهها، قرر الطيران دون أن ينتبه لرقم الطائرة، أو حتى لاسم السيدة رباب، ربما جمالها الشديد أثر على عقله، جهز طائرته واستعد للإقلاع بالطائرة، هو والسيدة وجثة زوجها، فوجئ أحمد بوجود مديره محمد معهم، فهو لم يهبط من الطائرة عند الإقلاع، بل سيذهب معهم في هذه الرحلة العجيبة، بعد ساعة من الطيران تذكر أحمد قصة مديره محمد الذى يعشق امرأة متزوجة من رجل ثري، يمتلكها بأمواله، ويتمنى أن يهرب بها بعيدًا عن زوجها، راجع ذكرياته كلها مع مديره، وفي لحظة ترقب من أحمد لمديره سمع محمد يقول للسيدة: حبيبتي الغالية رباب لقد نفدنا بالأموال، لقد أصبحنا أغنياء، وسنعيش معًا هناك على الجزيرة بمفردنا، ولن يعرف أحد بسرنا الذي نخفيه عن الجميع. أراد أحمد أن يفهم من مديره حقيقة الموضوع، لكن سرعان ما أخرجت رباب من حقيبتها مسدسًا؛ ورفعته نحو أحمد وقالت له: اذهب لغرفة القيادة ولا تعُد هنا مرة أخرى، هرع أحمد نحو غرفة القيادة، وهو يرتجف من هول الموقف، وأغلق باب الغرفة خلفه، وأخذ يفكر في حل لمشكلته، كيف خدعه مديره بهذه

السهولة؟ كيف يهرب من رجل عصابات مشهور بالقتل والنهب؟ لقد فقد محمد عقله، سمع أحمد طلقات رصاص، فخرج مسرعًا نحو الصوت؛ ليجد رباب غارقة في دمائها، ومحمد يصارع الموت، ماذا يحدث هنا؟ يصرخ أحمد: ماذا يحدث هنا؟ أخبرني يا محمد ماذا يحدث؟ لم يقل محمد غير كلمات قليلة ثم لفظ آخر نفس له، وهو يقول: عزيزي أحمد القصة (قصة خيانة وليست قصة حب وفقر) وخرجت روحه، أما رباب فقد ماتت وهي ترتدي ثوبًا أبيض كأنها تستعد للموت، الغريب أن أحمد جلس ينظر لرباب ويصرخ، فقد عرفها، نعم عرفها إنها تلك الفتاة التي سبق ورآها في كابوسه، هنا أسرع أحمد لغرفة القيادة التي وجدها مشتعلة، الطائرة تقترب من مياه المحيط، تقترب من الأمواج الهائجة، الطائرة تسقط في المحيط وتتحطم، لكن قبل أن يغرق أحمد، رأى رجلًا يقفز بالمظلة ومعه حقيبة ضخمة، وللآن لا يعلم أحد أين جثة زوج رباب التي كانت في التابوت؟ فعندما فتحوه وجودوه فارغًا.

****

فراشات

هي الأكبر في أسرتها؛ لكنها ليست الأجمل، تسابق الخطاب على أختها الأصغر، وتركوها وحيدة في عالمها المقفر، حتى الدنيا لم ترحمها فقد قست عليها، وهبتها أبًا قاسي القلب، تجرد من مشاعر الإنسانية، عرضها في سوق الزواج، الرجال لم يقبلوا عليها، لإنها ليست متعلمة وليست جميلة، أقحمها أبوها في سوق العمل تجرعت مرارة الذل والقسوة، تدربت على فنون التعامل وقانون الشوارع، نجحت في فن التسول، الذي جردها من أنوثتها، وأصبحت آلة بلا مشاعر ولا عقل، تطوف طوال اليوم، لتتسول من هنا وهناك، وتعود ليلًا لأبيها بالحصيلة، ويجمع المال في صندوقه الخشبي، أكثر ما يدهشني صمتها، هي صامتة لا تجيبك على أدنى سؤال، ولا تتحدث مع أحد كأنها في عالم آخر، وفي إحدى الليالي المقمرة، تقرب منها عجوز مريض، همس لها أن تتبعه في خطواته، وسيعطيها مبلغًا كبيرًا، ولكن أعطته هي كفًا على وجهه وسيلًا من السب والقذف؛ كأنها تصرخ في وجه الدنيا كفاني ذلًا، وتتمرد على وضعها، عادت لأبيها تبكي، وهي منذ عشرة أعوام، لم تنزل من عينيها دمعة

واحدة فقط، غلبه قلب الأب، وقال في حنو بالغ: ما بك بنيتي؟ لماذا هذه الدموع؟ أخبرته بهذا الذئب العجوز صاحب السيارة، الذي برقت عيناه، وأخذ يتفحص جسدها النحيل، بعيون خسيس ماكر، قال لها: لا تبكي ولن تخرجي للتسول من الآن، ستكونين كنزي الذي أحتفظ به للنهاية، تركها وحيدة كعادتها، وخرج مسرعًا نحو المجهول، وعاد يهتز من السكر، ويهذي بالكلام غير المفهوم، دخل غرفتها؛ فشعرت به، وقد سقط تحت أقدامها، يطلب منها الغفران ويبكي، وما هي إلا لحظات، حتى جاء الذئب العجوز ومعه رجلين، جاؤوا ليسحقوها و يجروها من شعرها، ويدخلوا بها سيارة العجوز، الدموع في عينيها، وصوتها يصرخ أبي أبي لماذا يا أبي؟! فأنا شرفك وعرضك أنا ابنتك كيف تفعل هذا بي؟ صفعها على وجهها ماذا تقولين؟ لقد زوجتك برجل ثري، أنا زوجتك هذا الرجل الغني، الزواج حلال أليس كذلك!، ولتطمئني يا عزيزتي، لقد أخذت منه عهدًا على أن يحترمك ويحافظ عليك، هيا اذهبي مع زوجك، صمتت وتوقفت عن الكلام، فقد حق لها أن تصمت للنهاية، فقد أنهى من كانت تظن أنه أبيها آخر فصل في حياتها، لقد رأت فجأة نوراً من بعيد يقترب، كأنه طوق نجاة يقترب منها، تهافتت عليه مثل الفراشات؛ لتلتقط آخر أنفاسها، تحت عجلات سيارة الشرطة، لتعلن

حريتها للعالم، وتذوب مع أسراب الفراشات في النور، وتترك عالم العبودية، وتحلّق نحو القمر.

****

بكاء عصفور

في ظلام الليل، تصرخ بقوة وجنون، تهذي من شدة الوجع، لكنها عندما تفيق من البكاء والألم، تجلس بزاوية في القصر الكبير، فتاة في مقتبل العمر ناصعة البياض، زرقاء العيون وشعرها ذهبي مشمس؛ كأنه شعاع شمس في فصل صيف حار، ترتدي فستانًا مزركشًا بالربيع، يفوح منه عطر الربيع، في عينيها الزرقاء سحابة دموع، تود الهطول على صحراء خدها الجاف، ربما تنبت أملًا في قلبها العجوز، نشأت على السمع والطاعة؛ فوالدها شيخ ورجل مثقف ورجل علم ودين، يعلم أن البنت لابد أن تتزوج بزوج صالح الأخلاق، وعلى والدها أن يزوجها من رجل كريم الأصل، وذو شأن ومكانة في المجتمع، فقرر أن يزوجها من رجل أعمال معروف، بحث في جميع نواحي القرية، حتى عثر على رجل في الستين من عمره، يريد أن يكمل نصف دينه بعد أن ضاع كل عمره وهو يبحث عن الثروة والمال والجاه والسلطان، فهو رجل لم يتزوج من قبل، صنع لنفسه قصرًا وامبراطورية خاصة به، وكان يبحث عن زوجة جميلة وصغيرة السن، وكم ابتهج وجهه وظهرت عليه

الفرحة! عندما رأت عينه وجه ابنة الشيخ، وكان اسمها صباح وهي صباح مشرق دائمًا، ذهب زاحفًا على وجهه نحو والدها، يطلبها للزواج ولتكون أميرته، وقد أعطاه ألف وعد؛ بأن ابنته ستكون ملكة متوجة في قصره، كانت صباح صاحبة قلب رقيق عطوف وصغيرة السن، تهوى الرسم واللعب، لا تمتلك من الدنيا كلها إلا قطة بيضاء، تجري خلفها في كل مكان، تغازل صباح بعينيها شعاع الشمس، فيختبئ القمر خجلًا من وجنتيها، لقد قرر والدها أن يربح هذه الصفقة، لكن لن يربحها إلا بعقد زواج، وافق على أمل أن تجد ابنته السعادة والرفاهية والحب والحنان والرعاية، وأن يعوضها هذا الرجل عن كل ما مرت به في الحياة، لم تعترض صباح على شيء من كل هذا، بل وافقت على لون الفستان، وتسريحة شعرها وجمال عطرها، وزفت العروس لزوجها، الذي ظهر على حقيقته بعد أسبوعًا واحدًا من الزواج، فقد كان يضربها ويجلدها بالسوط؛ ليتمتع بمنظر دموعها البريئة، وأصعب شيء حدث أمامها وقتل النبض في قلبها، عندما ذبح قطتها أمامها بلا مشاعر، حتى تخشى من الخروج بدون أذنه خارج البيت، فلا تذهب لأحد ولا يراها أحد غيره، لقد حوّل الصباح في حياتها ليوم أسود حالك، لقد كان كل ذنبها، أنها امرأة عرف الشر طريقه لها، فاقتنصها وسجنها له وحده، حتى والدها استلم مهرها ثم

تزوج بعدها، وأنجب دون أن يعلم عن حال ابنته شيئًا، ففي النهاية تزوجت رجلًا يجهل الحب والرحمة قلبه، تزوجها لأنه يعشق جسدها طول الليل.

****

دموع جريئة

ضوضاء الشوارع لم تكن بمقدار ضوضاء عقلها، أفكارها مشتتة، تشبه ملامحها تمثال الحرية، يتحمل عوامل التعرية والبيئة بصبر، لكن هي غير صابرة، فالكل يريد قطعة منها، امرأة تعمل صباحًا في محلات الملابس، تواجه عنف الرجال في الشوارع وقسوتهم عليها، حتى ظنت نفسها منهم، وقررت العمل ليلًا؛ لتعيش حياة الحرية، حصلت على وظيفة في مطعم فخم، لم تكن الأموال هي هدفها ومطمعها، بل هي تطلب شيئًا أكبر من ذلك، كانت تلقب بالأخ رضا، لكونها رجل في صورة امرأة، يقولون عنها امرأة بمائة رجل، وقفت أمام القاضي تصرخ بصوتها الرجولي: أنا بريئة كأوراق الورد البري، وصاحبة مبادئ حرة كقطرة الندى الفجري، أنا شمس تضيء الحياة، لأسرة من عشرة أفراد، سيدي القاضي أنا شريفة كالبتول في مهدها، عفيفة الأخلاق والمبادئ، أعمل في النهار بائعة ملابس؛ لأشتري أحلامي، وفي الليل أعمل نادلة لأنال الستر وهذا مرادي، تنزع حجابها من على رأسها، ليهرب منه ليل حالك السواد، يغطي خصرها كأنها تهرب وراء قناع من الشعر، تصرخ: سيدي

القاضي أنا فتاة وأطالب بالعدالة في مجتمع ذكوري، فمجتمعك يا سيدي يراودني على الرذيلة، من أجل قطعة خبز، ويسلب الفضيلة من أجل بناء سكن، يبيح الدماء من أجل قطرة ماء، فخرجت أجر ما تبقى من رجولتكم المسكينة في عالمكم الذكوري، لأهرب بها منكم وفيكم، جئت لأنزع ملابسي أمامك؛ لأريك جسدي المنهك، الذي حاصره الفقر والعوز، سيدي القاضي... ما تهمتي عندك؟ إن كان انتحال شخصية؛ فقد أخطأت التقمص والدخول في عالم الذكور، ولابد لي من العودة لعالم الأنوثة؛ لأقود المسيرة.....، تستيقظ من الصيحات وضوضاء الشوارع، عندما تمر من أمام المحكمة العليا راجعة من عملها.

****

أيدٍ باردة

تجلس وسط الظلام، تداعب لعبتها المفضلة، تنظر في المرآة وتبتسم، تسمع صوت والدتها تنادي قمر... قمر، أين أنتِ صغيرتي، تهرول نحو صورة لأمها، وتحتضنها بشدة، وتهمس لها أنا هنا يا ماما، يعود الأب من العمل؛ يجدها نائمة على الأرض، وفي يدها لعبتها المفضلة، ولكن بتسريحة شعر جديدة، فشعرها الذهبي يشع بريقًا عند وضع عقد اللؤلؤ عليه، يحضنها والدها ثم يبكي، تستيقظ قمر على دموع والدها، وبكل براءة تقول: بابا متى تعود ماما من أعماق البحر؟ يجيبها: قريبًا يا عزيزتي، تمر الأيام على قمر وحيدة؛ لا تملك إلا دميتها وشعرها الذهبي، وتلك اليد الباردة التي تصفف لها أجمل التسريحات، كان والدها يظن أن جارته الأرملة تعطف على ابنته وتساعدها وتصفف لها شعرها؛ فقرر أن يتزوجها؛ ولكنه تزوج من امرأة قاسية القلب، تغار بشدة من قمر، في إحدى الليالي الباردة، دخلت قمر غرفتها لتنام، حضنت صورة والدتها، كان شعرها غير نظيف وغير مرتب، وكانت دموعها شعلة تحرق الصورة، وما بين النوم والصحيان، شعرت بيد ترتب لها شعرها،

وتصنع لها خصلات السنابل، ثم تختفي هذه اليد الحنونة، ظنت قمر أنها تحلم؛ وعندما استيقظت في الصباح، اندهشت من تسريحة شعرها، فخصلات السنابل على شعرها جميلة، هبطت بسرعة لتخبر والدها بالقصة، لكن زوجة الأب كذبت كلامها، وقالت: إنها صنعت لقمر هذه الخصلات بيديها، عندما كانت نائمة، صمتت قمر ولم تجِب أو تكذبها، فالأب دائمًا يصدق زوجته، ظن الوالد أن قمر تفتقد والدتها؛ لذلك اخترعت هذه القصة الكاذبة، خرج الأب للعمل مثل كل يوم، وترك قمر في غرفتها تحت رعاية زوجته، زوجة الأب كانت مشغولة بصديقتها الخبيثة، التي جاءت لتسرق شعر قمر، لتصنع منه شعرًا مستعارًا لها، ولم يهمها مشاعر تلك الطفلة اليتيمة، ابتسمت تلك الخبيثة، وأخرجت من جيبها سوار من الذهب، وأعطته لزوجة الأب التي لمعت عيناها لرؤية الذهب، وقالت: ماذا سأقول لزوجي لو سألني عن شعر قمر؟ ولماذا قصصته؟ وماذا سنقول لقمر؟ فهي تعشق خصلات شعرها، ردت صديقتها بخبث ومكر، أخبريه أن شعرها به حشرات، وأن كل الأمهات تفعل ذلك، واتركي قمر لي أنا، هزت زوجة الأب رأسها بالموافقة، وجاء المساء بظلامه وقسوته، وعاد الأب من العمل، شعر الأب بأن بيته بارد، شيء غريب في بيته، تذكر حادثة زوجته؛ فتاة البحر التي ألقت بنفسها في أعماق البحر؛ لتنقذ

زوجها من الغرق؛ فماتت هي وابتلعتها أسماك القرش، كان يقف على شاطئ البحر، ليشم رائحتها لأنها كانت حبه الأول، هو لم ينسَها ولن ينساها، ولم يعشق امرأة غيرها، حتى أنه لم يخبر أحدًا، بأن حبيبته قد ماتت أمام عينيه، تسقط دمعتان على خده، يشعر بحضن دافئ، إنها قمر ابنتي الحبيبة، يضمها ليطفئ لهيب شوقه لأمها، ويفك خصلات شعرها؛ لتطير في الهواء مع أمنياته، يصعقه صوت زوجته خلفه، تخبره أنها تريد قص شعر قمر، فيبادرها بصفعة على وجهها بقوة، ويحذرها من أن تلمس شعرة واحدة من ابنته، يزداد حقد زوجة الأب على قمر؛ وتقرر الانتقام منهما، تدخل قمر غرفتها لتنام، تحتضن صورة والدتها، تشعر بتلك اليد الباردة تصفف شعرها ضفيرتين، ثم تسمع صوت أمها تخبرها أن تنام مطمئنة، فهي سوف تحميها من كل شر، تنام قمر بأمان وسرور، وفي منتصف الليل، يمتلئ البيت بالصراخ، زوجة الأب تصرخ وتصرخ، في البيت شبح يحاول قتلي، يد باردة تحاول خنقي، يحاول الأب تهدئة زوجته؛ لكي يفهم ما حدث؟، تصمت الزوجة؛ لأنها أرادت قص شعر قمر، تحاول الكلام فتكذب، وتقول: ربما كان حلمًا، تبتسم قمر لأنها تعرف تلك اليد الباردة، ويغرق الجميع في النوم مرة أخرى.

****

ظلُّ أخي

في ليلة شتاء ووسط سكون الليل، صرخات متتالية دون توقف؛ تصدر من تلك الحجرة المغلقة، تخرج الممرضات من غرفهم في حالة من الخوف، عيونهم تبحث عن مصدر الصوت، يندهش الأطباء من تلك المريضة، هي لا تتوقف عن الصراخ والبكاء، هي لم تنم برغم قوة المهدئات، تردد جملة واحدة فقط أنا أرآه يا أمي، يغلب الفضول الجميع، من تلك المريضة؟ وماذا بها؟ أتسلل بخوف وهدوء نحو غرفتها، أشاهد فتاة يافعة، جميلة الملامح، طويلة القامة، متناسقة القوام، سمراء البشرة، أجمل ما فيها تلك الخصلة التي على عينيها، يتساقط شعرها عندما تصرخ، فيرسم لوحة جميلة على وجهها، هي لا تهدأ أو تنام، تتعلق عيناها على جدار الغرفة، لكنها نظرت لي وتمتمت بكلمات مجهولة، جعلت جسدي يرتجف، دار في عقلي حوار كبير، بدأته بسؤال: هل هي مجنونة؟ لماذا يكبلونها بالقيود؟ وقفت أمام حجرتها وهي تصرخ، خرج الجميع من غرفتها إلا امرأة عجوزة، كانت جالست على مقعد بجوار سريرها، لم أشعر عندما دخلت قدمي حجرتها، جذبني صوت والدتها،

وهي تقول لي: اجلسي بجوارها، لا تخافي منها، إنها ملاك يا صغيرتي، جلست بهدوء، ولمست شعرها الذي يشبه ملمسه الحرير، داعبت خدها بيدي، نظرت لي، وقالت: أنا أرآه .كان من الطبيعي أن أهرب في تلك اللحظة، فمن الذي ترآه؟ تراجعت للخلف قليلًا، ثم قلت لها: أنا أيضًا أرآه مثلك، لقد ابتسمت، يا لروعة تلك الابتسامة، إنها عذبة ورقيقة، توقفت عن الصراخ، وجلست في هدوء تنظر لي، ثم تنظر للحائط وتبتسم، فقلت لها: أنت رائعة الجمال، لك عيون واسعة، ما اسمك؟ قالت: قمر وأنا أشبه أخي في كل شيء، ولي عيون مثل عيونه، حتى لوني مثل لونه، نحن اثنان ولن نفترق، سنكبر معًا، ونتزوج معًا، ألم تنظري له؟

أردت الهروب من الموقف، قلت لها: نعم، قمر أنا أرآه لكنني خجولة؛ ضحكت بصوت هز غرفتها، وقالت: هي خجولة، هي خجولة مثلك، وتوقفت عن الكلام، ثم نظرت لي، وقالت: لا ترحلي، تحدثي معه، أريد أن أنام وهو يخاف من الوحدة، أغلقت عيناها ونامت، كطفلة نائمة في حضن والداها، شعرت بالخوف من ذلك الشيء الذي ترآه هي فقط، وسألت نفسي: ما نوعه؟ هل هو من الأنس أم من الجن؟! اقشعر جسدي، انفتح الباب فجأة، فصرخت بصوت عالٍ، يا الله يا رحيم أنقذنا يارب.

لقد كان الطبيب، الذي ابتسم لي، وقال: ما بك؟ شعرت بالخوف الشديد، أردت الخروج من الغرفة، لكنها تمسك يدي، فهدأت حالي قليلًا، قال الطبيب لي: كيف جعلتِها تنام؟ هل أنت أختها؟ لم أجب على سؤاله، بل أجابته والدتها: لا هي مريضة مثلها، فقد أخبرتها أنها ترآه أيضًا، خرجت من الغرفة وأنا حزينة، أنا لست مريضة مثلها، بل أردت منها أن تهدأ، جاء الطبيب خلفي، وقال: أعرف قصتها فلا تخافي منها، لعب الفضول دوره معي، وقلت له: كيف عرفتها؟ فهي مجنونة، وأظن أن أمها قاسية الطبع، هي لم تخبر أحدًا بقصة بنتها، ابتسم وقال: نعم، ولكنها في بعض الأحيان تتساقط الكلمات من لسان قمر، ما أعرفه هو أن قمر لها أخ توءم لها، كانت شديدة التعلق به، وأنه وروحهما متقاربة، هي تشعر بوجعه، وتشعر بألمه، وهو كذلك أيضًا، هي بالفعل تشاهده، في كل مكان أمامها؛ لأن عقلها يرفض تصديق خبر استشهاده في الحرب، كانت في البداية تخاطبه وتحاوره، لكن عندما اشتاقت لحضنه ودفء مشاعره لها، تصورت أنه يريد أن يحضنها، والغريب هي لا تشاهده إلا على سطح الماء، كأنها تريد الموت، لكن بأسلوب جديد، عندما جاءت بها والدتها، كانت ملابسها مبللة بالماء، كانت قريبة من الموت، فقد ألقت بنفسها في الماء، ظنت أنه يلعب معها، كان علينا أن نواجهها بأنه قد

مات، حفاظًا عليها من هذا الاكتئاب، تساقطت الدموع من عيني أمامه، وقلت له: مسكينة مشاعرها مقتولة، قال: نعم، الغريب أنها لا تستجيب للعلاج، وفقدت الأمل في الحياة، وأظن أنها لن تتحمل أكثر من ذلك، وجميع الأطباء أكدوا موتها، وأتعجب كيف ترآه، فهي في بعض الأوقات، تدير معه حوارًا، تجعلك تصدق بأنه موجود بالفعل، تجعلك تشعر بأن أخيها بالفعل معها، لها عقل لكن قلبها يتغلب عليها، ربما الأيام القادمة تجعلها تصدق، ونظر لي بإعجاب، وقال : ما اسمك؟ أشعر أنني أعرفك، فقلت له: نعم تعرفني جيدًا، فأنا قمر مريضتك، وأنت ترآني كل يوم في غرفة الكهرباء، لكن لا أحد يصدقك، فجميع الأطباء أكدوا موتي هنا في غرفة الكهرباء.

****

قطة وذئب

في مرحلة ما من العمر، يكون العقل منقذًا من هلاك القلب، لكن ذلك العجوز الثري لم يفهم ذلك، يظن أن الورود كلها كالياسمين بلا أشواك، فهذا جمال رجل الأعمال البسيط، يهوى لعبة القط والفأر مع كل النساء، وخصوصًا تلك التي تطرق بابه؛ لتحصل على وظيفة أو مكانة في مجتمعه المنافق، ولكنه كره كل الألعاب الخاصة به، فقد سئم الرذيلة، وظن أن العالم بلا فضيلة، ومن سوء حظه اقتنع بالقاعدة المشهورة في عالمه، ورفع الحب من قلبه، وسجن كل مشاعره، وفي إحدى المرات، خرج ليصطاد مطلقة لديها طفلين، لكنها غنية ومن عائلة تزيده عزة وجلالة، فصنع شباك الحب لها بذكاء، فخضعت بلا امتحان، لقد فاز فهو الأول في هذا المجال، وأصبحت تحمل اسمه الكئيب كعنوان، وتمر الأيام والسنين عليهما، فهي تعلم أنه حقير جبان، وهو يعلم أنها بدونه لن تشعر بالأمان، وفجأة ظهرت قطة في بيت الجيران، قطة علمتها الدنيا الكثير من الأسرار، وربتها الأم على قول الحق مهما كان، جذبه ضعفها، فنسجت من شبابها شباك الانتقام، وقررت

أن تغامر مع ذلك العجوز جمال، أرسل الورد والتحايا والسلام، فهو ملك العقار وهم الجيران، وتقبل الجميع هداياه الثمينة دون أي سؤال؛ فلديهم قطة لا يخشوا عليها من الرجال، وتمر الأسابيع والأيام، ويزداد جمال حبًّا وهيامًا، وتزداد هي حقدًا ورغبةً في الانتقام، والزوجة ما بين بكاء مرير وحيرة، وما بين دعاء ورغبة في الأمان، ويستمر الحال لعدة شهور، حتى علم من والدها أنها تبحث عن تحقيق الذات، وتود العمل في بنك مال فهي قسم محاسبات، فيبادر بالرد على والدها أنه يحتاج لخبرتها في مجال التجارة فهو رجل أعمال، ويبحث منذ فترة عن موظفة ثقة في هذا المجال، وأمر لها بمرتب مُغرٍ وضخم، محال ثم محال أن تجده في أي مكان، وتحت أمرها سيارة حتى لا يزعجها شباب هذه الأيام، بلع الأب الطعم، لكن القطة فهمت أن سلاحه المال، وزادت شراستها وقررت أن تنهش قلبه قبل عقله هذا الجبان، وقبلت بهذه الوظيفة بكل سعادة، وتحول اسمه من عمو جمال إلى أستاذ جمال، غيّر ديكور مكتبه بزجاج أزرق لامع، وصبغ شعره بلون بني فاتح، وجدد النشاط فهو قرر أن يصطاد أجمل قطة، وخضعت الفريسة لهذا الجاه والسلطان، فالسيارة من أحدث التصميمات، وهدايا من عطر وفساتين من أرقى الماركات، لكن قلبها مدفون في إحدى القبور، لقد طرق الحب قلبه لأول مرة، وباح لها

بمكنون قلبه، ورفع راية الشوق عاليًا، لقد قرر أن يتزوجها، لكنها لم تجِب عليه، ولو بكلمة واحدة، غير تلك الابتسامة المصطنعة، وأخبر زوجته بالأمر، فما كان منها إلا أن ضحكت بسخرية، فهي تعلم من والدتها أنها مخطوبة، وأنها تعيش قصة حب كبيرة، وأن فرحها الليلة، ولكنها أشفقت عليه من الألم، بعد أن رأت الحب يترقرق في عينيه، واللوعة في حروفه، فذكرته بفارق العمر بينهم ثلاثين عام، وطلبت منه أن يحترم شيبته ولا يذهب، ولأنه لم يخسر مرة واحدة في عمره، خرج مسرعًا نحو المجهول، يحمل في يده باقة زهور، ويطرق باب حبيبته، فخرج الأب مستقبلًا هذا الضيف الكريم، ورحب به أشد الترحيب، وأجلسه بجوار تلك القطة الصغيرة، وطلب منه أن يكون شاهدًا على كتب الكتاب، فلولا مرتبها ما استطاعت أن تتزوج من خطيبها، ذلك الدكتور الجميل؛ الذي يجلس بجوارها، فاليوم هو كتب كتاب القطة، وجمال أحد المعزومين في الفرح، شعر أن العالم يلف به ويدور، لم يتمالك دموع العين فانهار أمامها، لقد بكى من قلبه، ونظر لها نظرات عتاب، وبسؤال مجهول لماذا يا نور؟ لماذا يا نور؟ خرج من بيتها على سيارة الإسعاف إلى المشفى، فقد دخل في غيبوبة لمدة يومين، وعندما استفاق وجد زوجته تبكي أمامه، فقد أصبح عاجزًا عن الحركة، لم ينطق لسانه

بكلمة واحدة، ولكن نظراته الكثيرة نحو الباب، تحكي ألف قصة وجع، وبعد أعوام من ثباته العاطفي وحالته الصعبة، يطرق الباب طفلًا صغيرًا، ويدخل نحوه وينادي عليه، جدو جدو احكي لي قصة القطة والذئب، فيعيد قصته من جديد لأحفاده، ولا يذكر اسم القطة التي انتقمت منه من أجل أمها؛ التي ماتت فقيرة ووحيدة، بعد أن تزوجها عرفي وقطع الورقة أمامها، فيبكي بكاءًا مريرًا، فكم من امرأة بكت من أجل هذا الجبان!....

****

بائع القلوب

مع آذان الفجر يخرج محمد من بيته متجهًا نحو المسجد، يصلي الفجر والصبح وبعض الركعات، ثم يدعو الله أن يغنيه بالحلال، يخرج من المسجد، يقف أمام عربة صغيرة يدفعها أمامه، لا يوجد عليها إلا القليل من البضائع، يتجه بها نحو شارع فسيح في الحي، ويبدأ العمل مثل كل يوم، محمد تخرج من كلية الآداب قسم علم اجتماع، لم يجد فرصة عمل تكفيه شر الحاجة والتسول من الآخرين، قرر أن يخوض تجربة العمل الحر، لم يكن يملك غير خاتم ذهبي تركته والدته بعد وفاتها، محمد يعيش مع ثلاث أخوات بنات أكبرهم في الصف الثالث الثانوي، وأصغرهم تعتقد أن محمدًا هو والدها، فمحمد هو الأب والأم لهن، في بعض الأوقات أظن أنه مجرد شخص سيئ الحظ، فهو فقير ويتيم لكن علامة الرضا تظهر على وجهه البشوش، وتلك الابتسامة الجميلة، تخبرني أنني أجهل كل شيء في هذا المجتمع، عندما أقف على تلك العربة التي يقودها محمد لا أجد إلا قلوب حمراء وبعض الخواتم الفضية، أجد بعض الألعاب الورقية، وأجد بعض كتب الشعر، وقصص الحب والخيال،

أبتسم دائمًا له، فهو لا يبيع شيئًا مهمًا بالنسبة لي، لأنه يبيع الحب فقط، والحب لا يساوي شيئًا في عالمي، فعندما أخرج من حينا، أتجه نحو البقالة والسوق لألبي رغبات نفسي من مأكل وملبس ومشرب، أنا لا أشتري كتبًا ولا ألعابًا، ولكنني أؤمن بابتسامته العذبة، محمد ليس لديه شيء، سوى قلبه الطيب وروحه المرحة، وعطر كلماته الشجية، وقد تجد على عربته يقف الكثير من الشباب والفتيات، وفي الناحية الأخرى من حينا الفقير، يوجد قصر لرجل أعمال مشهور، جميعنا كفتيات نتطلع إلى بيته الجميل، الذي لايصدر منه ضجيجًا أو صراخًا غير أصوات الموسيقا والغناء، نتمنى أن يكون هذا القصر ملكنا، يوجد في حينا، وجهان لمكان واحد، وجه الفقراء الذين يبيعون أحلامهم وتطلعاتهم إلى المستقبل، ووجه آخر يعيش بسلام وحرية ورفاهية، يعيش ليمص دم الآخرين، أضحك دائمًا من مجتمعي المريض، وأظنه أصبح كهلًا لا يستطيع الإنجاب.

****

بصمة عار

تعدو مسرعة نحو الجبال، تبحث عن كهف عميق؛ لتختبئ فيه هي وطفلتها من الموت، السماء حمراء من حولها وتنزف دماء، النار حولهما في كل مكان، المياه تجرف الأشجار من حولهما، الغربان في الفضاء تنعق وتنعق، رائحة الموت في كل مكان، تسرع نحو جبلٍ شاهقٍ، وعندما تصل إليه تجده قد تحول إلى رمال متحركة، فتجرفهما هذه الرمال إلى باطن الأرض، يبتلعهما جوف الأرض، فيضيق صدرها ولا تستطيع التنفس، حتى تصل إلى الموت وقبل خروج روحها، تشهق بصوتٍ عالٍ ابنتي ابنتي ثم تستيقظ، تفتح عينيها؛ فتجد نفسها على مهدها، وأن ما مرت به مجرد كابوس، كابوس فقط لكنه مرعب، هي لا تقوى على القيام فقد شُلت أعضاء جسدها تمامًا، تتساقط من عينيها الدموع، وبعد دقائق تنزع جسدها النحيل من تحت الغطاء، ثم تخرج لتواجه حياتها البائسة، ترتدي ملابسها الزرقاء، وتحمل حقيبتها السوداء، وتضع على وجهها كل مساحيق التجميل؛ لتغطي علامات القهر والذل على وجهها النحيل، تتجه نحو عملها، وفي الطريق تبدأ رحلة العذاب ، ترى الذئاب حولها

في كل مكان ، تريد أن تلتهم جسدها، عندما تسير في الطريق لا تستطيع النظر في عيون الناس، فعيون النساء تتهمها بخطف أزواجهن، فهي مطلقة وجميلة، وعيون الرجال تشيد بجمالها وغباء طليقها، فكيف يطلق امرأة تعمل في مجال الطيران؟ أما عيون الأطفال فيسألون ما ذنبها في كل هذا؟ أليس الطلاق شيئًا حلالًا وضعه الله للزوجين عند صعوبة العشرة؟ فناهد ليست أول مطلقة أو آخر مطلقة، ولكنها تسكن في حي من الأحياء القديمة، وهم أصحاب الفكر العتيق الذين يضعون الذنب على النساء دائمًا، تمر في هدوء ولا تتحدث مع أحد، ثم تقود سيارتها وتنطلق نحو عملها، كل ما يشغل تفكير ناهد طفلتها الصغيرة، المصابة بضمور في خلايا المخ، والتي كانت السبب في الطلاق، عندما علم الزوج أن زوجته ستنجب كل أطفالها بهذا المرض، قرر التخلي عنها، وتخلى أيضًا عن ابنته، فما كان من ناهد إلا أن وضعتها في مستشفى خاص بهذه الحالات حتى تتحسن صحتها، ناهد تذهب لصغيرتها كل صباح، تلقي عليها التحية وتقبلها، لكن هذا الصباح لن تذهب إليها، بل قررت أن تأخذها معها في رحلة إلى فرنسا، فقد علمت من زميلتها في العمل، أن هناك طبيب يعالج حالات تشبه حالة طفلتها، وقد حجزت لها عن الطبيب، وقررت السفر على طائرة الليلة، كانت متفائلة برغم

رعبها من الكابوس، إلا أنها قررت أن تذهب إلى عملها أولًا، هناك على مكتبها تجد باقة من الزهور الجميلة، وورقة صغيرة ليس بداخلها غير اسم زميلها في العمل، تلقي الأزهار على الأرض، ثم تبدأ عملها في خدمة العملاء، لا تجذبها كلمات الغزل التي تغزو أُذنها كل يوم، يجذبها الهدوء والصمت، وصوت عقارب الساعة على الحائط، تعلن عن قرب نهاية اليوم، إن عالمها جامد بلا مشاعر بلا روح أو حياة، كأنها جثة باردة لم تتعفن بعد، بعد انتهاء عملها، خرجت من مكتبها متجهة إلى ابنتها الصغيرة، لكن عندما وصلت إلى هناك وجدت خبرًا صاعقًا في المستشفى، لقد توفيت طفلتها في الليلة الماضية، وهي الآن في ثلاجة المستشفى، لم تتحمل الخبر وعواقبه، وقررت أن تنهار مع موت صغيرتها، لم تعد تلك المرأة الجامدة أو كتلة الثلج، فقد رأت الكابوس على أرض المستشفى، طفلتها في مكان بارد جدًا، ولا يوجد من يحتضنها لتصرخ، تنظر في كل الوجوه لا تعثر على حبيب أو رفيق، رائحة الموت حولها في كل مكان، حتى أنها اختبأت مع صغيرتها في درج ثلاجة الموتى، والدماء تتساقط على وجهها، من جثة فوقها، لقد جنت وفقدت قوتها، وسقط قناع الرضا من على وجهها، ليجتاح بركان الغضب كل مكان حولها، هنا قرر

الأب أن يستلم جثة ابنته ويتركها هي، يقولون أن الدموع سقطت من عينيه عندما رأى طليقته تصرخ بجنون.

****

امرأة قتلها الحب

تلك اللؤلؤة في فستانها الأبيض تضوي كالقمر، عندما يلامسها ضوء المصباح الكبير، في أكبر قاعة أفراح ترقص عبير تلك الفتاة الجميلة، فهي عروس الليلة، يجتمع حولها الكبير والصغير فرحين من أجلها، فهي تستحق ذلك لكرمها وحسن أخلاقها، بجوارها شاب وسيم تملأ وجهه الفرحة، يقولون أنه علاء زوجها، كانت كل الأشياء مبهرة وجذابة، لكن للقدر شيء مختلف، شيء كتبه الله عليهم، دخل من باب القاعة رجل يرتدي بدلة سوداء، الدموع تغطي وجهه الكئيب، يقترب كثيرًا من العروسين، لكنه لم يأتِ للتهنئة فقط، بل أدخل يده في جيبه وأخرج مسدسًا وأطلق رصاصة، وهو ينظر للعروس بلهفة، فاستقرت الرصاصة في قلب عبير، لتسقط على الأرض، وتصنع من دمها بحيرة صغيرة، بحيرة تغرق فيها أحلام زوجها وآماله، ويطلق هذا الرجل رصاصة أخرى فتستقر في قلبه، ويسقط مدرجًا في دمائه، الكل يصرخ من حولهم، صوت الرصاص يهز المكان ويجلب الشرطة للمكان، الجميع في حيرة من هذا الرجل؟ ولماذا قتل عبير؟ يحمل علاء زوجته بفستانها الذي

صبغته الدماء باللون الأحمر، وفي المستشفى تلتقط أنفاسها الأخيرة، ثم تغلق عينيها للأبد، ولكن على وجهها تظهر علامات السعادة، سعادة غريبة ممزوجة بالحزن والوجع، عبير تردد في صوت مبحوح هل مات هو؟ هل مات هو؟ يجيبها الجميع نعم المجرم مات، القاتل مات، لقد قتل نفسه خوفًا من العقاب، تهمس بوجع قولوا لي: حبيبي مات، وأخذني معه، ثم فارقت روحها ذلك الجسد المعذب، يخرج علاء مسرعًا؛ وهو يصرخ لقد ماتت فرحتي وضحكتي وسعادتي، ماتت زهرتي ووردتي وربيعي، قتلها رجل مجنون، يحاول الجميع تهدئة الوضع، إلا أن والدها لم يتحدث بكلمة واحدة، فضل أن يتماسك ليدفن جسد ابنته، ليضعها في القبر كما وعدها، تمر عليه بعض الذكريات، عندما جاءت تجري نحوه وتخبره أن وائل صديقها قرر أن يطلبها للزواج، ليصعقها والدها بالرفض دون أي سبب، كسرها وكسر فرحتها متحججًا بأنه غير مناسب، ينتبه والدها أن الجميع يسأله هل هو بخير؟ يهز رأسه مجيبًا، نعم الآن أنا بخير، تحمل العروس إلى المشرحة وتغسل وتكفن في ثوبها الأبيض الجديد، يصلي عليها زوجها ووالدها والجميع، وتدفن بجوار والدتها، في نفس القبر، يعود والدها إلى البيت فلم يجدها، يجهش بالبكاء ويقول: لقد رحلت، ما عاد في البيت عبيرًا بعد اليوم، يضمه علاء إلى صدره،

الحزن يسيطر على الجميع، لكن علاء لديه ألف سؤال في رأسه ويريد إجابة لسؤال واحد، لماذا قتلها؟ ومن هو؟ يصمت والدها دون كلام، ويمر أمام عينيه طيف عبير، وهي تبتسم وتشير بيدها إلى طيف وائل، الذي يقف أيضًا بجوارها مبتسمًا، تهمس في أذن والدها، أخيرًا أصبحنا معًا بلا قيود أو حواجز أو ألم أو وجع، سامحني يا أبي لقد حاولت أن أكسر قلبي وقلبه، لكننا لم نتحمل أكثر من ذلك، فقررنا الخلاص من عالمك المظلم إلى عالم الحب، ويختفي طيفها وطيف وائل، ويستيقظ الأب صارخًا بقوة لا لن يحدث ذلك لن أتركك له يا عبير، صوته يهز جدار بيته، وجميع الجيران يشفقون عليه، يعلمون أنه ظلمها وكسر قلبها، ولكنها ابنته الوحيدة الذي أحبها، وعاش معها بعد وفاة والدتها، يخرج والدها من البيت بعد العصر لوحده، العيون تراقبه من بعيد، فقلب جميع الأهل مشفق عليه، فعبير كانت معلمة ورسامة ومبهجة وتحب الجميع، فكيف سينساها ويعيش بدونها؟ يمشي متجهًا نحو المقبرة، يدخل في خشوع نحو قبرها، يجلس بسكون وهدوء فهو يخاف أن يوقظها، يحمل في يده عروستها وزجاجة عطرها وبعض الرسومات، يجلس على الأرض، ويفرش أمامه عشر لوحات كلها لامرأة ترتدي فستان زفاف، ولكنها مقتولة يحملها وحش بين يديه، وتحتها فارس مقتول بسيف، لم يفهم

أنها تخبره بالنهاية، تتساقط الدموع من عينيه، لكن يد ناعمة تربت على ظهره، إنه علاء جاء أيضًا يبكي على زوجته، لقد هرب علاء من عالمه المظلم إلى عالم الحب مع عبير، فتركته في منتصف الطريق، علمته الحب ثم رحلت، جلس بجوار والدها وتطلع إلى الرسومات وقال: أخبرتني الشرطة أن القاتل اسمه وائل، وأنه كان صديق عبير في جميع مراحل التعليم، وأنه تقدم لخطبتها سبع مرات، وفي كل مرة ترفضه برغم أنه شاب جميل وثري ومهذب وعلى خلق وأحبها كثيرًا، نعم رفضته لأنه أحبها أكثر مني، أحبها حد الجنون، كنت أرفضه في كل مرة وأتمنى أن لا يعود مرة أخرى، لكنه كان يعود، رفضته لأنه أحبها بصدق ونقاء، كنت أرى ظله في عينيها، وأرى ابتسامتها في عينيه، كنت غيوراً عليها، كنت أخشى أن يأخذها ويرحل، لقد قتلها حبي، عبير ليست ابنتي فقط لا بل هي حبيبتي وصديقتي وكل ما أملك، والآن فقدت كل ما أملك، أخذها ورحل بها بعيدًا عني، الوجع والحسرة يلف قلبه، الأنين الصادر من أعماقه يلهب بناره الكون، الغضب المتحجر في مقلتيه يتساقط كقطرات دموع كثيفة، يهمس علاء لكنها كانت سعيدة معي ولم تظهر لي كونها تعيسة أو مجروحة، نعم كانت تتظاهر بالسعادة من أجلي، فكنت أرفض تناول الدواء لو أظهرت شيء من حزنها، ولكنني كنت أسمع بكاءها

وتوسلاتها لله لكي يرحم قلبها، ويسامحها ويغفر لها، كانت تخشى أن تبوح لك لكي لا تحزنك، كانت جميلة من الداخل تحزن هي لكن لا تتمنى الحزن لغيرها، يبكي علاء ويقول: لقد ظلمتنا يا عمي، ظلمت قلوبنا، سامحك الله، وينهض من جواره ويضع يده على قبرها، ويبكي بشدة وهو يقول: لا أعلم من يسامح من، أنا أسامحك على جرحك لي وكذبك عليّ، أم تسامحيني أنت على عدم إحساسي بك، أنا آسف وأحلك من أي وعد، وداعًا يا كل الحب، وداعًا يا عالمي الجميل الذي وددت أن أعيش بداخله، فماتت روحي على بابه، ورحل يجر خيبات حظه وحزنه، ومكث الأب جالساً أمام القبر بقيت عمره، وفي يده ورقة مكتوب فيها، وصية من وائل وعبير، يا عمي العزيز دعني أدفن مع عبير في قبرها، لا تفرقنا في الموت كما فرقتنا في الحياة، لكنه يرفض الوصية، ويرفض أن يدفن وائل مع عبير في قبرها برغم موافقة الجميع وتوسلاتهم له، ومكث أمام القبر يحرس ابنته من حب رجل ميت، يقول حارس المقبرة، أنه كان يشاهد شبح وائل وعبير يجلسان أمام والدها وهما يبكيان من الحزن.

****

أحببت رجلًا شرقيًا

تمشط شعرها الأسود، فتظهر بعض الشعيرات البيضاء فتبتسم، كم تلمع تلك الشعرات وسط شعرها الجميل! ترتدي حجابها؛ لتخفي عن الأنظار تلك الشعيرات؛ تذهب إلى العمل كل صباح من طريق واحد، لكن هذا الصباح مرت من طريق مختلف، تحمل في يدها حقيبة سفر صغيرة، تنظر للبيوت والشوارع وتبتسم، كأنها تهرب من شيء يلاحقها، اعترض طريقها محمد ابن جارتهم العجوز، وقف يطلب منها أن توافق على الزواج منه، بعد أن طلق زوجته صغيرة السن، وقفت قمر في جمود كأنها لوح من الثلج؛ تنظر إليه بعجب واستغراب، حبيب الماضي وخائن الحاضر، يريد أن يكون زوج المستقبل، لم تخرج من شفتيها غير جملة واحدة من أنت؟ كانت كفيلة أن تخرسه وتبعده عن طريقها، لكن ضربات قلبها تزداد وترفض هذه القسوة، القلب يصرخ أنا أحبه، عندما تراها تشعر أنها ستسقط على الأرض من شدة ألمها، لكن كبرياء المرأة بداخلها يرفض الخضوع، تذكرت قمر لحظة انكسارها، في مساء أحد الأيام القريبة كانت مثل أي فتاة، تؤمن بالحب

والزواج والأسرة، تقف في شرفتها لتخطف لحظات من قصة حبها، كل مساء تنتظر حبيبها الذي سيخطبها بعد أسبوع، هو يعد نفسه كما وعدها، كان محمد كل آمالها، فهو صديق الطفولة، وخليل الروح، لكن ربما نسيت أن بعض الرجال كاذبون تخدعهم المظاهر، فقد جاء في هذه الليلة يجر خيبته، أخبرها أن والدته رفضت تلك الخطبة، ومنعته أن يتزوجها، فهي ليست جديرة به من وجهة نظر والدته، وعندما سألته عن السبب، وأصرت على معرفة ذنبها وسبب الرفض، كانت إجابته كالصاعقة، إجابة يرفضها أي عقل سليم، أخبرها أن عمرها تجاوز الثلاثين عامًا، وهي الآن في مرحلة العنوسة وقد لا تنجب منه، أصبح وجهها شديد الاحمرار، وقالت: نعم عمري ثلاثة وثلاثين عامًا وأنت عمرك أربعين عامًا، أليس أنت أكبر مني! ثم إنني قضيت عمري كله وأنا أنتظرك، حتى نحقق حلم حياتنا يا محمد، فما ذنبي إن كنت في حبي لك صادقة؟ لم يتكلم محمد بل رحل، رحل عن عالمها فقط، لكن هي أيضا رحلت لبلاد الحزن والخيانة، كانت دموعها كالناقوس يطرق ذاكرتها كل لحظة، تبدل حالها أصبح عمرها مائة عام، أصبحت ترتدي السواد، لقد أظلمت الحياة أمامها، كانت تردد على شفتيها سؤالًا واحدًا ما ذنبي إن كان حبي صادقًا؟ وبعد شهر احتفل الجميع بزواج محمد جارها وحبيبها؛ الذي

قتلها عندما سمع كلام أمه وضحى بها، وتزوج فتاة لم تكمل العشرين من عمرها، تمنت أن تعود بعمرها للخامسة عشر وتعيش بلا قلب، تمنت الموت كل يوم، لكنها تناست وتغيرت تغيرت كثيرًا، فقد جعلت حياتها عمل ثم عمل ثم عمل، وصلت لعدة مراكز مرموقة، كانت تشبه اليمامة في مظهرها الوديع والرقيق، لكنها كالطير الجارح إذا اقترب منها أحد، هي لم تعد تؤمن بالحب، كانت تؤمن أن المال يحقق لها الرفاهية، في بعض الليالي كانت تحلم بأنها ترتدي فستانها الأبيض وتكون جميلة جداً، ثم فجأة تتحول لامرأة عجوز فتستيقظ صارخة، لكن بعد عام عاد محمد إليها راكعًا، يصف نفسه بالضعف، وأنه أطاع والدته دون تفكير، أخبرها أنه أحبها ولا يزال كذلك، أخبرها أن زوجته صغيرة ولا تفهمه مثلها، أخبرها الكثير والكثير على لسان والدته، التي جاءت تعتذر وتبدي الندم على فعلتها، وعلى أنها اخطأت في حقها، قمر لم تعد تتحدث لم تنطق بكلمة واحدة، استمعت لكل كلامها وكلامه، ثم رحلت إلى بلاد لا يكون فيها الرجل ضعيفًا، يترك حبيبته من أجل عمرها، ومع إشراقة الصباح كانت قمر على متن طائرة مهاجرة لبلاد جديدة لا يعرفها أحد.

****

قلمٌ وخنجر

يظن الأستاذ مختلف إنه بالفعل مختلف، فهو مازال يعيش في عصر سي السيد، يلف ويدور في الفضاء الأزرق، يعد ويجهز ويخرج برامج أدبية ومجموعات من أجل النساء، هو يدافع عن حقوق المرأة، في كل مرة يصطاد أنثى مجروحة من عالمها الأزرق، ويضمها لعالمه المظلم الذي أصبح أضخم من اللازم، يستيقظ ذات صباح على منشور لفتاة مجروحة تنطق حروفها من شدة القهر، قرر أن يحتويها ويعلمها كيف تغلق باب اليأس وتحلق بعيداً عن حزنها؟ تمنى أن تكون له فهي رقيقة الحرف، ثم يهرب بها إلى السرب، لكنه نسي شيئًا مهمًا، حملها معه دون أن يسألها: لماذا تبكين؟ وعمن تكتبين؟ ولماذا حروفك حزينة؟ كان يعتقد أن سربه سعيدًا، وسيجلب لها السعادة يومًا ما، لم يكن يعلم أنها مختلفة مثله بل وعدوانية، تملك قلمًا لاذعًا وروحًا قاسيةً، لم يقرأ في كتب التاريخ عنده، عندما يتحطم قلب المرأة تكون في حالة استنفار، تصبح أكثر شراسة من قبل، تلتهم مشاعر كل من يقابلها، ثم تبتعد لأقصى حد ويموت بداخلها السلام، فتعلن حروفها

العصيان، وتبدأ في إنشاء عالمها، فيصبح عالم الرجال في نظرها غابة بها مخلوقات مفترسة وشرسة، شيء ما جعلها تظن أنه مختلف، ربما كلامه المعسول أو أسلوبه الرقيق أو نظرات عينيه، فبدأت الأحلام تداعب خيالها من جديد، وتجتاح الأفكار رأسها بغزارة، وبدأ يسطر قلمها خطوطه العريضة، وتلون حياتها بألوانها الزاهية، لكن الحزن الذي يعيش بداخلها يرفض الانصياع، يخبرها أنها ستعود له يومًا ما، وهي أشد ألمًا من قبل، كانت لا تستمع لعقلها أو لتجربتها الخاصة، تلك التجربة التي وهبتها الحياة لتخلق منها امرأة بلا شبيه أو نظير، لكنها تريد أن تتحرر من قفصها ومن وحدتها، أغمضت عينيها، وبدأت تستسلم لذلك الظلام الذي يحثها على اقتحام الأهوال، البسمة على وجهها تشرق، والدموع في عينيها تتراقص مع الحروف وتمحو الكلمات، سحبت الثقة من الجميع إلا هو، تتخذ الحيطة والحذر من غدر الجميع لها؛ لكنها تثق بكلامه وتسير على هديه، تؤمن أنها وصلت لذلك الرجل الذي تكتب عنه في سطورها، وأنه سيعلمها كيف تعيش سعيدة؟ فالأستاذ مختلف يرسم كل يوم لها طريقًا تحقق من خلاله كل أحلامها، وهي تتبع خطواته بهمة ونشاط، ومرت الأيام وهو يرسم الأحلام، وهي تكتب وتكتب ولكنها لم تحقق أي حلم، فهي مازالت تعيش في

قفصها الذهبي وحيدة بلا أنيس أو جليس، بل أصبحت الآن ترى قفصها حديديًا، خلصها من أحزان وأوجاع عالمها الواقعي والحقيقي، وسجنها في عالمه الافتراضي، بل عاشت في مرارة الواقع والحسرة، وهي تنتظره ليفك عنها طلاسم الحزن، لقد كان مختلفًا حقًا، فهو لم يقطفها من غصنها مثل باقي الورود، بل نزع القلم من بين يديها، ورسم خنجراً في كفها، وكانت تمسك قلباً في كفها الأخر، لقد رحل الأستاذ مختلف وتركها لوحدتها مرة أخرى، وعندما حكم عليها القاضي بالإعدام، وجدوا جثة الأستاذ مختلف بلا قلب...

****

بيوت بلا جدران

تركت منزلها القديم وحياتها الهادئة؛ امرأة في مقتبل العمر، متزوجة بمخلوق يشبه الرجال، يعبث مع الكثيرات، ويتزين كأنه فتاة، تجد في يديه وحول رقبته الكثير من الأشياء، عندما تشاهده تشعر أنك أمام مخلوق عجيب، أو ساحر ماكر ومع ذلك تهواه النساء، تسأل نفسها كثيرًا، لماذا تزوجت هذا الشخص؟ لماذا كنت له فريسة سهلة؟ لقد انقلبت حياتك رأساً على عقب، فتجيب نفسها (إن مرآة الحب عمياء) سمر تعمل في محل للملابس، تعمل دون توقف في أي مكان؛ لتجني رزقها ورزق صغيرها الوحيد، اضطرت أن تترك شقتها، وتبحث عن مكان صغير في ظل الظروف الصعبة وارتفاع الأسعار، وصلت بقدميها لشارع قديم به بيوت بلا أبواب، بيوت متداخلة لا تفرقها من بعضها، عثرت على شقة بسعر زهيد، فاستبشرت وقررت أن تسكن بها، دون أن تسأل عن هذا الشارع أو تعرف عنه أية معلومة، واليوم التالي كان أثاث منزلها كله في بيتها الجديد، سمر وابنها وزوجها في شقتهم الجديدة، لم تنم في ليلتها الأولى برغم التعب والإجهاد، فصوت ما بداخلها

يصرخ ويرفض البقاء، شيء ما يجبرها على الرحيل، ومثل عادتها كل صباح ارتدت سمر ملابسها وخرجت للعمل، فوجدت بيتاً في الشارع القديم مزدحمًا بالشباب والفتيات، ظنت أن هناك وظيفة أو شركة تطلب موظفين، ورحلت دون أن تسأل أحدهم عن شيء، وبعد قليل نزل زوجها ليسلم على أهل الشارع، ويبحث في هذا البيت عن عمل، فوجد أحدهم يطلب منه أن يساعده في أمر ما، ثم أخرج من جيبه ورقة بمائة جنيه وأعطاها له، فرح الزوج بالمال وذهب مسرعًا إلى السوق، واشترى بعض الطلبات الضرورية للحياة، عاد لبيته فوجد أن أحدهم دخل شقته وترك له الكثير من الطعام فرح الزوج؛ لكنه وجد زوجته عائدة من العمل حزينة، أخبرته أن صاحب المحل تحول إلى وحش كاسر، عندما أخبرته أنها تسكن في الشارع القديم، وطردها من المحل دون أي سبب لذلك، أخبرها زوجها أن لا تحزن، فقد رزقه الله بعمل في هذا المكان، وأن أموالًا كثيرة ستكون معه قريبًا، أعدت سمر الطعام وبعد تناوله، خرجت تنظر من شرفتها على شارعها الجديد، ترى الناس تسير في صمت، لا أحد يتحدث بكلمة واحدة، البائعون يضعون لافته والميزان، تعجبت سمر من هذا التصرف، إلى أي حد يثق هؤلاء الناس ببعضهم، الأبواب مفتوحة والأطفال يلعبون أمام منازلهم، لا توجد أصوات

أو ضوضاء، لكن بداخلها شيء يصرخ، ويجبرها على الرحيل، نامت ليلتها مهمومة وبجوارها صغيرها، وفي منتصف الليل استيقظت على بكاء الصغير، ارتفعت درجة حرارته فجأة، وأصبح ما بين الموت والحياة، خرجت مع زوجها إلى الشارع تبحث عن من ينقذها أو يساعدها، لم تجد إلا عجوزًا جالسًا في منتصف الطريق، سألته عن مكان طبيب أو مستشفى قريبة منها، مد يده ومسح على وجه الصغير ثم اختفى، نعم لقد اختفى، وتغير حال الطفل فقد برد جسده تمامًا، كأنها تحمل في حضنها لوحًا من الثلج، وخف أنينه ونام، ظنت سمر أن هذا الرجل ملاكًا أو أحد الصالحين، لم تفهم سمر أنها تعيش في الشارع القديم الذي يسكنه الأشباح والدجالين والسحرة، وأن السحر الأسود يتم تصنيعه في شارعها، دخلت بيتها وهي ترتجف من الخوف، أما زوجها فكان مبتسمًا، كأنه يعرف من هذا الرجل؟ في الصباح قررت سمر أن تفهم ما يدور حولها، نزلت عند جارتها وأخبرتها بالقصة وأرادت أن تعرف ما الذي يحدث هنا؟ كل ما فعلته الجارة أن أعطت سمر كوبًا من القهوة وبعض الماء، وطلبت منها أن تعود إلى شقتها، ولا تحاول أن تسأل عن شيء هنا، زاد شك سمر في الأمر، وبدأت تكتشف كل يوم معلومة جديدة، أهملت زوجها وصغيرها، وبدأت تقرأ عن الأرواح والدجل، بدأت تزور

النساء والجيران، بدأت تظهر عليها معالم الشارع القديم، وبعد عام من البحث، قررت أن تترك كل شيء خلفها وترحل، لقد تعبت من كل شيء، فقدت الكثير من جمالها وصحتها ولم تصل لشيء، حملت أغراضها وبحثت عن زوجها وصغيرها لكنها لم تجدهما، لقد اختفى زوجها وأخذ معه الصغير، ربما خاف من الشر الكامن بداخلها، ربما قرر أن يرحل هو، ربما هرب بعد أن تأكد أنها لم تعد صالحة، لكنها للآن لم تجد الباب لكي تخرج من الشارع القديم.

****

الضحية

وقفت على شاطئ البحر، أنظر لتلك الأمواج العالية، تلك الأمواج المتلاطمة تدفع بعضها بعضًا، لتغرق الشاطئ برائحتها، جلست فوق الرمال الناعمة، وتمنيت أن أجد نهاية لقصتي، فهي قصة بلا أمل أو هدف، أردت أن تكون نهايتها سعيدة، لأول مرة أحب أن تكون نهايتها سعيدة، قررت أن تكون بطلتي فرحة مسرورة، ولكن من أين لي بتلك الغبطة؟ أمسكت قلمي وبدأت الكتابة، سمعت صوت أنين يئن قريبًا مني، ظننته قلمي لأنه لم يعتَد على الفرحة، لكن لا، فذلك الصوت الدفين كان خارجًا من امرأة بجواري، كانت جميلة رقيقة جذابة الشكل والمظهر، تلك المرأة تمنيتها تسكن في قصتي الجديدة، هي بطلة كتابي الجديد، تفرغت لها واتبعت حركاتها وسكناتها، لم تهتم بي أو تعيرني أي انتباه، كأنني لا شيء أمامها، كانت تجلس ساعات وساعات أمام البحر بلا حركة، كأنها على موعد مع أحدهم، أو تنتظر شخصًا قادمًا من البحر، في إحدى ليالي القمر كانت تسير بهدوء غير عادتها، وكانت تغني للغائب القريب، ظننتها عاشقة أو امرأة جرحها الحب، كانت

سعيدة جدًا، فجأة تعثرت قدمها وسقطت على الأرض، أسرعت إليها وأمسكت بيدها وأنا قلبي ينفطر عليها، ألهذه الدرجة هي مجروحة من الحب، أمسكت يدها وساعدتها على النهوض، ابتسمت وشكرتني، وقالت: شكرًا لك أخي؛ قلت أخي في نفسي، ثم رفعت صوتي قائلة: آنستي، أجابتني نعم، وهي لا تحدد مكان وقوفي، وأخذت تتجول بعينيها حول المكان، ثم قالت: عفوًا أخي، فأنا كفيفة. تركتها ورحلت بعيدًا عنها، فهي ضحية قلمي وفكري، لقد رأيت منها ما أردت رؤيته، وتجاهلت حقيقتها هي، فهي لم ترني أصلًا، هي ليست مجروحة من الحب كما اعتقدت، هي مجرد امرأة كفيفة، تعشق الوحدة والسكون، وتستمع إلى أشجان البحر الهائج، هي لا تنتظر حبيبها، بل تعود لها روحها الطاهرة مع كل ضربة موج على الساحل.

****

عيون ريم

طفلة في الخامسة من عمرها، لونها كأزهار الياسمين، عيناها كخضرة الربيع، كانت ابنة وحيدة، لوالديها اللذين شاهدا الحياة من خلالها، ريم فتاة قتلتها قسوة الحروب، لم يكن ذنبها أنها ولدت تحت قذف الطائرات، طفولة حطمتها القنابل، ما يثير حزني طريقة قتلها، كانت تلعب أمام بيتها مع الأطفال، تسابق أشعة الشمس بشعرها الأسود، تردد كلمة واحدة طائرة... طائرة بصوتٍ متقطع، فبرغم صغر سن أصدقائها إلا أنهم عند سماع صوت طائرة يهربون، ويختبئون في أحضان أمهاتهم، ظنوا أن أمهاتهم تدفع عنهم خطر الموت، إلا ريم كانت هي من تحضن أمها، وتواسيها في الليالي المظلمة، في ليلة حالكة السواد كانت أمها تعد لهم طعام العشاء، فجأة تعالت أصوات الجيران، وبرقت السماء بالنيران، ورعد صوت الطائرات، حضنت الأم والأب طفلتهما، وخرجا بسرعة يبحثون عن مكان آمن لهم، ريم لم تصرخ بصوت عالٍ ولم تبكِ كالأطفال، كانت شجاعة وعالية الهامة، في منتصف الطريق سمعوا طلقات رصاص كثيرة، وناس يصرخون فيهم من أنتم؟ ومن أين

جئتم؟ وأطلقوا عليهم النيران، والناس لا يعلمون من أين تأتي الرصاصات، ولمن تلك الرصاصات؟ ومن المقصود بها؟ تعالت الأصوات نحن عزل من السلاح نحن عزل من السلاح لم ترحمهم قلوب تلك الوحوش الضاربة التي تعشق الدماء والجثث، فقد قبضوا ثمن ضمائرهم وهانت عليهم الأرواح، هنا تساقطت النساء والأطفال والرجال كأوراق الخريف، ماتت أم ريم في تلك اللحظة، وتركت ريم لأبيها توصيه بها خيرًا ورحلت عند خالقها، تبث له ظلم البشر، تحمل الأب مصيبته وعبر الحدود بريم، هناك اهتم المسؤولون بالقضية وأوجدوا خيمة لريم وأبيها، بعد شهور من تواجدهم، مرضت ريم بفقر الدم، واحتاجت لكثير من الرعايا الطبية، لم يستطع الأب توفير هذه الطلبات، فماذا يفعل؟ خرج يعمل بكد وتعب، ليوفر لها طعام ودواء يساعد في علاجها، وتركها وحيدة في الخيمة، وفي إحدى الأيام وهي تلعب أمام الخيمة، كانت قافلة طبية أجنبية تمر عليهم، وتعطيهم طعامًا ودواءً، فمر شيطان عليها وشاهدها، وأعجب بعينيها ولونهما الأخضر، رأى الشموخ والعزة والكبرياء في براءتها، وشاهد الياسمين على شعرها، علم أنها لن تنكسر برغم المرض والفقر وشدة الاحتياج، كان طبيباً وجزار أعضاء، يصطاد الأطفال من الملاجئ والخيام، أخذ يبحث حولها، وينشر سمه أمامها، عرف

أنها وحيدة مع أبيها، وأن والدتها توفيت وليس لها أخوة، ولا أهل ولا أصدقاء، وأنها نجت بأعجوبة من الموت، وأن أبيها هو من يرعاها، وأنه في أشد الحاجة للمال، اصطنع الطيبة وطالب بالعدل والحرية، وطالب بالحماية والرعاية لهذه الطفلة المريضة، أدخلها مستشفى وعالجها واهتم بها على حسابه الخاص، حتى استعادت صحتها وشفيت تمامًا، وصارت تثق به وتلعب معه، واطمأن الأب له، وظنَّ أنه ملاك، وأن بعض الغرباء رحماء، ولكن هيهات، قرر الطبيب الشيطان أن يتبناها هي ووالدها ويرعاهما، أخرج لهما جواز سفر وتصريح عمل للوالد، وانطلق بهما إلى بلاد الحرية، وإلى الراحة والعلم كما يظن والدها، وبعد شهر مات والدها في حادث سير قيد ضد مجهول، وأصبحت ريم وحيدة وغريبة، في بلد الكفر والضلال، تحت رحمة شيطان ماكر، ولكن ربها من فوقها يحميها ويرعاها، في هذا الوقت قرر ذلك الشيطان بيعها لأسرة غنية، تلك الأسرة معهم فتاة كفيفة، تحتاج لقرنية عين، وما أجمل عيون ريم! هي لا تملك غير رعاية الله لها ولجسدها النحيل، أخذها من يدها وذهب للمستشفى وعرضها عليهم، لم يرحموا ضعفها أو طفولتها، فقرر كل طبيب أخذ جزءًا منها مقابل أن يصمت، وباع الشيطان ريم وقبض الثمن، وقرروا إجراء العملية وتجريد ريم من بصرها،

وقبل العملية بيوم واحد، أعطاها الطبيب نوع دواء يساعد على زيادة ضخ الدم في القلب، ليحصل على قلبها في حالة جيدة، أدى هذا الدواء لقتلها، قبل العملية بساعتين، أثر الداء عليها، لقد كان لديها حساسية من نوع هذا الدواء، فماتت ريم أمام الأطباء، الذين انتزعت الرحمة من قلوبهم، والغريب أن هذا الدواء شوه قرنية العين، ودمر خلايا الجسد كله، فلم يحصلوا منها على أي عضو سليم، لم يأخذوا من ريم أي جزء من جسدها، لقد حماها الله بموتها، وحمى جسدها الصغير، حتى أنه سخر ممرضة ذات قلب رحيم أن تضعها في صندوق مع حكايتها، وتكتب عليها عيون ريم، جسد جاء هاربًا من الحروب وقسوة القلوب، ورجع لكم مقتولًا، أيها العرب احموا أطفالكم من وحوشنا.

****

جف القلم

جلست على مكتبها، وفي يدها حزمة من الأوراق وقلم، نظرت لكوب قهوتها الساخنة، ثم رشفت القليل منه، تذكرت طفولتها الباهته التي فقدت فيها جميع الألوان، لم تتذكر نور من ماضيها غير صديقتها الجميلة ذات العيون الواسعة، التي كانت تعايرها لأنها فقيرة وترتدي ثوب قديم، فابتسمت ونهضت مسرعةً لخزنة ثيابها، أخرجت كل فساتينها من خزانتها، وارتدت أروعها ووضعت عطرها الفرنسي، وارتدت عقدها الذهبي، ووقفت أمام المرآة؛ وبكل تكبر قالت: هاأنا نور، يا ندى وصلت لما أريده، أملك أكثر مما كنت أحلم به، غدًا سأزور قريتي، لأراك وأشعل فيك الغيرة كما كنت تفعلين بي، وبدأت تستمع لموسيقاها، وتكتب بداية لقصة عن الريف أطلقت عليها اسم (عندما ينضج الحقد) بدأتها بمناظر الريف الجميلة، وطيبة أهلها ورائحة الخبز تفوح من بيوتها، وتوقفت على عبارة لم تكملها كأن قلمها جف من الحبر، وعجزت عن تكملت القصة، وأصابها الملل والإحباط، أخذت تلملم جفونها الذابلة، ثم انهارت فوق سريرها، ونامت

حتى الصباح، عند شروق الشمس سمعت أصوات العصافير، تشدو أروع الألحان، فشعرت بالسعادة، وارتدت ثيابها، ثم خرجت تقود سيارتها في الطريق إلى عملها، حتى وصلت إلى مكتبها الكبير، لتجد عليه باقة من الورد الأحمر، لقد حصلت على ترقية، وأصبحت مديرة قسم النشر في المجلة، وبعد التهنئة والمباركات، هنأها مدير المجلة بنظرة حادة وصوت رخيم، نتمنى منك كل جديد يا أستاذة نور، لقد اخترتك لفيض قلمك وعلو هامتك وإصرارك على تحقيق أهدافك، وبابتسامة خبيثة قال لها: أتذكر أول مرة جئت هنا من عشرين عامًا، كنت مثل برعم الورد الصغير، ضعيفة وهشة، ولكن كنت مصرّة على الازدهار والتفتح، أريدك دائمًا هكذا عزيزتي، ابتسمت بمكر حواء، والتحدي يلمع في نظراتها، وفضلت الصمت عن الكلام، كانت في غبطة شديدة، لقد وصلت لنصف هدفها، وبخفة أمسكت القلم، لتعبر عن سعادتها بمقال تطعن بفصاحته وبلاغته مديرها الجاهل الذي لا يجيد الكتابة، وبدأت تكتب البسملة والمقدمة، لكنها توقفت عن الكتابة لم تجد شيئًا تكتبه، خانتها الحروف وهربت منها الكلمات بعيدًا عنها، بررت هذا الموقف بأنها سعيدة، وتلك السعادة أثرت عليها، تركت الورقة والقلم على مكتبها، وتحدثت في الهاتف مع والدتها، التي لم تسعد كثيرًا بهذا الخبر،

لكونها مازالت عزباء، وتفضل العمل على البيت والأسرة، وهي تريد أن تصبح جدة، وترى أحفاد بنتها الوحيدة، خرجت هي وأمها إلى الغداء في أرقى مطعم على النيل، وأثناء تناول طعامهم، رأت منظرًا جعلها تبكي، طفل صغير بملابس قديمة، يحمل في يده كيسًا، يضع فيه بقايا طعام من مكان القمامة الموجودة خلف المطعم، فقد كانت الحائط التي تفصل المطعم عن الشارع من الزجاج، تذكرت عندما كانت صغيرة، وأنها لم تشعر في يوم واحد بالشبع، بل دائمًا كانت تشعر بالجوع، ودائمًا تريد الأكل، طلبت من العامل طعامًا كثيرًا جدًا لفردين، حتى انزعجت أمها من كمية الأكل، أكلت كثيرًا ولكنها لم تشبع، خرجت من المطعم وهي محبطة، وبحور من الدموع محجوزة في عينيها، كأنها قطع من الثلج تلمع، طلبت من أمها أن تزور أهل أبيها في قريتهم، استجابت الأم بعد إلحاح شديد من نور، وقررت الذهاب لهم في صباح الغد، وجاء الليل وظهر القمر في السماء، وكأنه يعلن عن ليلة سمر جميلة مع نور، بدأت كعادتها تستمع إلى موسيقاها، وبدأت تمسك القلم وتكتب، ولكنها لم تكتب ظلت ممسكة القلم حتى الصباح، ولم تكتب كلمة واحدة، حينها أصابها الذهول، ولم تستطِع التنفس للمرة الثالثة على التوالي، لا تستطيع الكتابة، وجاء الصباح وهي تجلس على مكتبها، وتضع حزمة الأوراق والقلم

أمامها، وتنظر لكوب قهوتها الساخنة، رشفت القليل منه، تذكرت حديث مديرها عن إبداعها المتميز في المقالات، وظلت تسأل نفسها، لماذا يحدث لي كل هذا؟ خرجت مسرعة لصديقها ذا العيون الخضراء، والذي يتمنى رضاها، وجدته على كرسيه المتحرك وعليه نفس الابتسامة، وبصوتٍ خافتٍ يشتمل على الخوف والتحدي، قالت: ناجي أخبرني ماذا يحدث لي؟ من ليلة أول أمس وأنا لا أستطيع الكتابة، لم يجِبها بل هز رأسه وقال: هل فكرتي في طفولتك الباهتة التي فقدتِ فيها جميع ألوانك؟ قالت: نعم، فهز رأسه وقال: وتذكرتي صديقتك الجميلة ذات العيون الواسعة، التي كانت تعايرك لأنك فقيرة وترتدي ثوبًا قديمًا؟ قالت: نعم، ابتسم ولم يتحدث بكلمة أخرى، كأنه كان معها، تحدث معها عن أدق تفاصيلها بعينيه، وبدأت هي تبكي وتصرخ؛ كأنها عرفت لماذا لم تعد تستطيع الكتابة؟ الغريب أنه عزف الموسيقى التي كانت تسمعها، وبجواره مكتب عليه الكثير من الأوراق كتب عليها (عندما ينضج الحقد) بنفس الكلام وبنفس الأسلوب، بدأتها بمناظر الريف الجميلة وطيبة أهله، ورائحة الخبز تفوح من بيوتها، وتوقفت على عبارة لم تكتمل كأنها نسخة واحدة في جميع الأوراق، كان الاختلاف والفرق بينهم تلك التواريخ القديمة، عاد يخاطبها بصوت هادئ، وبكلمات كأنها أشجان

محب، حبيبتي وصديقتي الوحيدة نور أنت الأجمل والأروع على الإطلاق، أفيقي من غيبوبتك مثل كل مرة، هو وهي الآن متزوجان ومعهما أطفال، أنت قررتِ أن تتزوجي قلمك فلا تدعيه يجف من الحبر، وتعجزين عن تكملة القصة، في لحظة صرخت لا لن يهزمني أحد، ولن يصيبني الملل والإحباط، أخذت تلملم ما بعثرته جفونها من الدموع، ورحلت عنه، لكنها لم ترحل عن قلبه، فهي حبه الأول، وستكون الأخير، مع أنه يعلم حقيقة قصتها، وأنها كانت ضحية لحب كاذب، وأنه عاجز عن فعل شيء لها غير سماعها ودعمه لها، وأنشأ يعزف حتى الصباح، وعند شروق الشمس سمع صوت هاتفه يرن، أسرع يجيب عليه، فسمع منها كلمة واحدة كأنها أروع الألحان، فشعر بالسعادة والسرور أخيرًا نور كتبت أول مقال لها، وهي مدير ورئيس قسم، وعاد يعزف ألحانه،ارتدت نور ثيابها بعد حوارها مع ناجي، وخرجت تقود سيارتها في الطريق إلى عملها، حتى وصلت إلى مكتبها، لم تدخله بل ذهبت مباشرة لمكتب مدير المجلة، وبنظرة حادة وصوت جميل، قالت له: سيدي أتمنى منك أن تقرأ مقالي الأول فيه كل جديد، وأتمنى أن يعجبك ويروق استحسانك، وهمت بالخروج من مكتبه، فقال لها: أستاذة نور، لقد اخترتك لإصرارك على تحقيق أهدافك، وأعلم أنه مقال فوق الرائع،

ابتسمت بخبث، وقالت له: شكرًا سيدي، وهمت بالانصراف، إلا أنه أمسك يديها، ونظر في عينيها، وقال: متى ستعودين لي يا نور؟ أريدك دائمًا معي يا عزيزتي، ابتسمت والتحدي يلمع في نظراتها، وقالت: عندما أنسى أنك فضلتها عليّ سأعود، ثم رحلت، التزم هو الصمت عن الكلام، كأنه فهم المقصود، كانت في حالة حزن شديد، مغلف بكبرياء النصر، كانت عين تبكي والأخرى تضحك كما يقولون، أمسكت القلم لتعبر عن عادات الريف الظالمة للنساء، وأنها عاشت تلك النظرة بنفسها، كان المقال يتسم بالفصاحة والبلاغة، وبدأت تكتب وتكتب، لم توقفها تلك الدموع المنهمرة عن الكتابة، لم تعد تخشى شيئًا، ولكن خانتها الحروف للمرة الثالثة، وهربت الكلمات بعيدًا عنها، تركت نور الورقة والقلم، وتحدثت في الهاتف مع والدتها، فقد قررت أن تخرج من عملها إلى قرية أهل أبيها، لابد أن تضع النقط على الحروف، النقط التي لم تستطع وضعها في الصغر، وبالفعل خرجت مسرعة نحو سيارتها، وانطلقت بسرعة كبيرة نحو المجهول، لم تهتم كثيرًا بما سيقولونه عنها، وعن انقطاعها من زيارة البلد، بل كان كل همها أن تهرب من سؤال عمها الكبير، لماذا أنت عزباء وترفضين الزواج؟ وهي تفكر رأت منظر الشمس في الغروب، وهي تختبئ في حضن الجبل، جعلها تفكر عندما

كانت طفلة صغيرة بملابس قديمة، تحمل في يدها كيسًا فيه طعام لوالدها، وهو يحفر في الجبل، لأنه كان يظن أن الكنز مدفون في باطن الجبل، وأنه سيصبح أغنى شخص في القرية، وأمام عينيها بلعه الجبل، وانطبق عليه، فقد كانت الصخور رملية ومنصهرة، تذكرت وهي ترى الجبل يبلع الشمس وينطبق عليها، وتذكرت كل شيء عندما كانت صغيرة، وأنها لم تشعر في يوم واحد بالأمان بعد وفاة والدها، بل دائمًا كانت تشعر بالخوف من رؤية الرمال والصخور، ودائمًا تريد الاختباء في أحضان والدتها، وجاء الليل وظهر القمر في السماء، وكأنه يعلن عن ليلة جميلة مع العائلة، ونور بدأت كعادتها تستمع إلى موسيقاها، وبدأت تقترب من القرية، وترى بيت العائلة، ولكنها تفاجأت بأنه مغلق، ولا يوجد أحد بداخله، أصابها الذهول ولم تستطع التنفس أو الكلام، وجاء الصباح ويا ليته تأخر عن المجيء، كانت نور طوال الليل تتذكر أحداث من القرية مرت عليها، بعد رفضها الزواج من ابن عمها، وتفضيلها شاب غريب عليه، ويااليت هذا الشاب رعاها في حبها له، بل أغرته ندى صديقتها وتزوجته، وفضل مالها ومال أبيها على نور، تذكرت كل ذلك وهي تجلس في سيارتها، لن تضع اليوم حزمة الأوراق والقلم أمامها، ولن تنظر لكوب قهوتها الساخنة، ولن ترتشف القليل منها، بللت عيونها من البكاء،

فطال الليل، وبهتت ألوان الحياة في وجهها، فتذكرت حديث مديرها عن حبه لها، وانتظاره لرجوعها، فقررت الانتقام منه، ولكن بإبداعها المتميز في المواقف المماثلة اتصلت به، فرد عليها بلهفة كأنه ينتظر تلك اللحظة، أو مستعد لها، أجابها نور حبيبتي ما بك؟ هل اشتقتِ لي يا صغيرتي؟ اشتقتِ لحب عمرك القديم؟ أم أنك قررتِ أن تغفري لي وتسامحيني على فعلتي الشنيعة معك ياحب عمري كله، ظلت تستمع لكلامه بهدوء وتقول في نفسها، ماذا ولماذا وكيف أسامح رجلًا أحببته؟ ووهبت له عمري كله، وفي الآخر يختار المال ويتركني وحيدة، نعم لن أسامحك مهما حدث ياعمر، ضيعت من عمري الكثير، وأنا أريد الانتقام منك، فأنت فضلت أموال ندى على حبي، وردت عليه مسرعة نعم اشتقت لك، وشعرت بالوحدة، لقد قهرني هجرك لي كفاني عناد ياعمر، أريدك أن تقف بجواري اليوم، أرجوك ساعدني، لم يحتمل عمر حرارة الكلمات، وهب مسرعًا يصرخ أين أنت حبيبتي؟ هل أنت في المكتب؟ لحظة وأكون أمامك فأنا أتمنى رضاكِ يا نور، وجدت في صوته لهفة العشق القديم، ولكن لم يجبها قلبها لهذه المشاعر، فقد تحول قلبها لحجر صوان، وبصوت خافت يستشعر منه الخوف والحب، قالت: عمر أنا في قريتنا، تعال لي بسرعة، فأنا منهارة وبكت، فقال لها: أخبريني ماذا يحدث؟ أجيبيني

حبيبتي، فقالت له: من ليلة أمس وأنا هنا في السيارة، أمام بيت عمي مر الليل وأنا وحيدة بداخل سيارتي، ولم أستطع النوم، وأشعر بالفزع والخوف، لم يجبها بل أغلق الهاتف في وجهها، وانطلق بسيارته نحو القرية، طوى الطريق ليس بسيارته بل بقلبه، هزت دموعها كيانه كله ودار برأسه كل الماضي، بداية من حبه لها، وتذكر عندما رآها أول مرة، وتلك الساقية الدوارة، وضفائر نور الذهبية، وجمال ضحكاتها العالية، وشجاعة موقفها، عندما أخبرت الجميع بحبها له، وقال: هل فكرت في كل هذا قبل أن تتركها؟ لم أفكر إلا في المال، وعميت عيوني، وهز رأسه قائلًا: ولكنني سأعوضها عما رأته من ألم وحزن، سأعيد لها كرامتها أمام أهل القرية، وأمام عمها، وتذكر أنها قالت له: أن بيت عمها مغلق ولم تجد أحدًا هناك، أجرى اتصالاته، وأخذ يبحث عن عمها مستخدمًا كل نفوذه وعلاقاته ومعارفه، وفي هذا الوقت رأت نور صديقة لها، لم تتعرف عليها نور، ولكن هي تعرفت عليها، و في بيتها رأت نور أولادها، ورأت زوجها فأخبرته أنها تبحث عن عمها، فكان عنده الرد الأكيد، هاجر عمها وأبناؤه إلى كندا منذ خمسة أعوام، ولكن في القرية مازالت عمتها موجودة، فأخذها إليها وأوصلها لبيت عمتها، فرأت فتاة صغيرة وجميلة ذات عيون واسعة، كانت تلعب أمام الدار، مدت نور يدها للصغيرة، وسلمت

عليها، وسألتها عن اسمها، أجابتها اسمي نور، ابتسمت لها نور، وقالت لها: أين جدتك؟ خرجت امرأة عجوز ضعيفة البصر، تتعكز على فرع شجرة، وقالت: من يريدني؟ ومن التي تتحدث معك يا نور؟ ردت نور عليها: أنا يا عمتي، أنا نور نعمان، ولم تتفوه بكلمة أخرى، كأنها كانت تعرف أن عمتها ستعرفها، تحدثت العجوز معها، وقالت: نور من؟ قالت: نور ابنة أخيكِ نعمان الذي بلعه الجبل، وبدأت العجوز تبكي وتصرخ كأنها عرفتها، لكن لماذا لم تحضنها وتقبلها؟ لماذا تبكي وتصرخ فقط؟ سمع أبناءالعجوز صراخها فخرجوا مسرعين، الغريب أن العجوز بعد صراخها، ضمتها واحتضنتها بشدة أمام أبنائها، وقالت: هذه نور ابنة أخي نعمان رحمه الله، جاءت تزورني وأدخلتها البيت بكل حفاوة، شعرت نور بدفء العائلة التي كانت تسمع عنها، وكان بجوارها أطفال ونساء ينظرون إليها بعجب، ويسألون: من هذه الجميلة؟ فترد عمتها إنها ابنة أخي، ولقد اشتقت لها كثيرًا، وبدأت الأسئلة وانهارت سيول الذكريات والأحداث، وقدموا لها التحية من الطعام والشراب، وتعرفت على أفراد عائلتها الجديدة، من أكبر فرد لأصغر فرد، وتبادلوا معها الحوار رجالًا ونساء، وأثناء اندماجها معهم، رن هاتفها أنه عمر، قال لها أين أنت؟ لقد دخلت القرية ورأيت سيارتك ولم أجدك فيها، ردت عليه بهدوء

وبنفس الكلام، وبنفس الأسلوب، أنا عند عمتي حبيبتي، وبدأت تنظر لعمتها كأنها مشتاقة لها، أي مكر هذا!! أليست هذه العمة التي حرمت أم نور من حقها، وخافت على زوجها من أم نور وطردتها من القرية، توقفت نور وعلى لسانها عبارة وكلمة واحدة، لماذا فعلت هذا بأمي؟ ولم تتركينا نكتمل بوجودكم كأننا أسرة واحدة في القرية مثل جميع الناس؟ كان الاختلاف والفرق بين نور وعمتها ظلمها لأم نور، عاد يخاطبها عمر بصوته الهادئ وبكلماته العذبة، حبيبتي نور أنهي اللقاء وتعالي، كفانا ألم، فالأجمل والأروع قادم على الإطلاق، هيا تعالي أنا أنتظرك، هو وهي الآن في القرية ومعهم الذكريات بحلوها ومرها، أنهت نور اللقاء ووعدت عمتها بالرجوع لها، وزيارتها في كل وقت، وهمت مسرعة قبل أن تفضحها نظرات الحقد والكره لها، ولكن أذابت عمتها ثلج المشاعر بحضن دافئ وقبلات ممطرة على وجنتيها، وهمست في أذنها سامحيني يابنتي، فأنا من حرمك من حنان العائلة، ولكن يغفر لي أنني امرأة وهزتني الغيرة من جمال أمك، فقررت أن أرتاح من خوفي الدائم، بأن تتزوج أبا أولادي، هزت نور رأسها، وقالت: سأبلغ سلامك لأمي يا عمتي، ورحلت لكن قلبها لم يجف من الحب، وبلحظة صرخت لا لن أغفر لأحد، ولن يصيب قلبي الحب مرة أخرى، أخذت تلملم

ما بعثرته الأيام من الذكريات، ورحلت عنهم لكنها لم ترحل عن القرية، فهي مازالت هناك، رجعت لبيت عمها الذي وجدته مغلقًا، ولكن كان عمر يجلس أمامه وفي يده مفتاح البيت، قص لها حكاية عمها وهجرته، وأنه ترك المفتاح لأحد أقربائه، رأت نور في عينيه حبها الأول، وسمعت دقات قلبه مع أنها تعلم حقيقة حبه لها، وأنها كانت ضحية لحبه الكاذب، وأنه عجز عن فعل أي شيء لها غير رؤيتها تتعذب، وسماعها تصرخ من شدة قهره لها، وأنشأت تعزف على جرح الذكريات، حتى شعر بندمه، أبدى لها اهتمامه بالبقاء معها حتى الصباح، وعند الصباح يرحل، وافقت بشرط أن يخبرها، لماذا تركها ويحكي لها بصدق؟ لكنه رفض حفاظًا على ما تبقى من كرامته، وعند شروق الشمس سمعت صوت سيارته تبتعد عن منزل عمها، لم يرحل ولكنه ذهب لمكان اللقاء الأول، شعرت بالسعادة والسرور أخيرًا، نور أعطت عمر درسًا في الانتقام، ارتدت نور ثيابها بعد حوارها مع عمر، وخرجت تقود سيارتها في الطريق، حتى وصلت إلى مكانها القديم، لم تدخله بل اقتربت منه مباشرة و بنظرة حادة حول المكان قالت: أتمنى منك أن تخرج كل ذكرياتك من عقلي، الجديد منها والقديم، وأتمنى أن أنهي قصتي التي عجزت عن كتابتها وتعجب الناس، وهمت بالخروج تفاجأت بصوت عمر يقول لها:

نور لابد أن ننهي قصتنا اليوم، همت بالانصراف، إلا أنه أمسك يديها، وأجلسها بجوار الساقية، و ابتسم تذكرًا للحظات السعادة التي مرت عليهما هنا، أيام السعادة والحب البريء، ولكنها قالت: لن أنسى أنك فضلتها عليَّ ما حييت، التزم هو الصمت عن الكلام، ولكنه فهم المقصود، كانت هي في حالة حزن شديد، حزن مغلف بكبرياء الأنثى المجروحة، كانت الدموع المنهمرة على خديها، تحكي قصة عشق مازالت مشتعلة، ولكن لم يرق قلبها له حتى عندما ركع لها، وطلب منها الغفران، رفضت أن تسامحه، واعترفت له أنها تحب شابًا آخر، وقريبًا سيتزوجان، وأنها لم تعد تفكر فيه، رأى أنه اختفى من عينيها، ولم تعد عينيها تلمع بالحب مثل الماضي، فنهض مسرعًا يحاول لملمة رجولته، وقال: أخطأت في صغري، ومازلت أدفع الثمن، سأرحل يا نور، ولن تشاهديني مرة أخرى في أي مكان، وداعًا نور، وجاء الليل وظهر القمر في السماء، وكأنه يعلن عن آخر ليلة حزن لنور، وبدأت كعادتها تستمع إلى موسيقاها، وبدأت تكتب وتكمل قصتها، ولكن بعد الانتهاء منها، أذهلها القلم فأخيرًا كتبت قصتها المشؤومة (عندما ينضج الحقد). ولم تتوقف على جملتها المعتادة بل كملتها، وقالت: إنها قريتي وهذه قصتي، فعند نطقها بهذه الكلمات تحررت نور من خوفها القديم، وشعرت أنها ظلمت

نفسها لأن الحياة جميلة، وأخطأت عندما أغلقت قلبها، وملأته بالكره وحب الانتقام، كانت مخطئة أشد الخطأ، لأن الحب لا يعرف الانتقام، ولا يعرف الحقد، بل هو عطاء، عطاء بلا مقابل، أدركت نور الصباح لقد جاء هذه المرة مختلفًا، كأن الشمس أول مرة تشرق، جمعت أشياءها وودعت قريتها، وتركت قصتها المشؤومة في القرية لم تأخذها معها،لأنها ستبحث عن الحب والسعادة فلا داعي للتشاؤم، قادت سيارتها وهي تفكر في الجميع، وتريد إسعاد الجميع، فكرت في وظيفتها الجديدة، وقررت أن تستقيل منها، لتلبي أمنية والدتها، بأن تتزوج وتنجب لها طفلة جميلة، فكرت في كل أصدقائها، وفي سعادتهم، ولكن شعرت بشوق غريب ناحية ناجي، فهل هو حب أم شفقة؟ هل ستتزوج ذلك العاجز؟ سترقص يوم زفافها مع رجل يجلس على كرسي متحرك، فكرت بعقلها حتى وصلت لمنزلها، ووجدت والدتها حزينة، ويبدو عليها البكاء، احتضنتها بشدة وقالت لها: أمي اغفري لي وسامحيني، لقد أتعبتك كثيرًا وحمّلتك فوق طاقتك، ولكنني من الآن سأسمع كلامك، وسأتزوج وأنجب لك الأحفاد، حمدت الأم ربها أن ابنتها أفاقت بعد تغيبها عن الواقع والمجتمع، ووسط كلامهما أخبرتها أمها أن صديقها ناجي في المستشفى، وحالته حرجة لم تنجح عملية زرع النخاع له، وهو في العناية

المركزة، سقطت نور على الأرض مغشيًا عليها من هول الصدمة، كأن قلبها توقف عن العمل، كيف لا وهي الآن تعرف من ناجي؟ أفاقت وقلبها يتمزق من هذا الخبر، مازالت بثيابها بسرعة استقلت سيارة أجرة إلى المستشفى، فهي لا تستطيع القيادة، ولا تملك أعصاب لذلك، وصلت إلى غرفته في المستشفى ووجدته وحيدًا كما عرفته، كان بجواره صديقه وهو في حالة تدمي القلب، جلست بجواره وأمسكت يده، وقالت: لقد عدت لك يا ناجي، لماذا لم تنتظرني أو حتى تقول لي؟ نظر لها ثم ابتسم، وقال: كنت أريد أن أفاجئك وأنا أسير على قدمي، كنت أريد أن أضمك إلى حضني، ولكن الحمد لله، ضغطت على يده وقالت: ستتجاوز الأمر إياك أن تتركني وحيدة، ثم قل لي من سيعزف لي موسيقاي، ناجي هيا ناجي أسرع بالشفاء، حتى تعزف لي أجمل ألحانك، جاء الطبيب وأمرها بالانصراف، ولكن ناجي أعطاها ورقة في يدها، وقال لها: نور أنت كل ما أملك في هذه الحياة، ولا أخاف الموت، ولكنني أخاف عليك أنت، وصمت ودموع عينيه تتحدث بالكثير، ودعته وخرجت تجر أذيال الخيبة معها، عادت للبيت تبكي، وأحست أنها تحتاج لخلوة مع ربها، تدعوه بصدق الدعاء، فجلست تصلي وتدعوا ربها، وتبكي فتحت الورقة وقرأت بعد السلام والتحية نور كنت أرجو من الله كل يوم أن تكوني زوجتي

ولكن عجزي وقلة حيلتي جعلني أتردد في طلب يدك، خمسة أعوام وأنت معي أختي وصديقتي، والآن وأنا أعرف أن الموت قريب مني أعترف لك أنك كنت الأم والأخت والابنة والحبيبة لي، سامحيني وأنا على فراش الموت يا منية القلب، وأدعو الله أن يجمعنا في جنته، وأن يحرسك ويصونك ويحميك، وداعًا يا نور، مزقت الورقة وقالت: لا لا أنا في كابوس ليست حقيقة، هو مجرد حلم وسأفيق منه على فرحة عارمة، أنا.. أنا لم أفرح وإن الله سيستجيب دعائي يا ناجي، وتناولت الهاتف ورنت على صديق ناجي لتطمئن عليه، ولكنه لايجيبها، فهو يبكي إذن أنا لا أحلم لقد مات ناجي بالفعل، مات قبل أن أرد له جزءًا من عطفه وحبه لي، لم تبكِ وتمالكت أعصابها، ذهبت لحقيبتها تخرج ورقة بيضاء، لتعترف بحبها له، ولكن انتفضت انتفضت بشدة من الذهول فقد وجدت أن قصتها المشؤومة (عندما ينضج الحقد) بداخلها، وأنها لم تتركها في القرية، فهي لم تكملها بعد، جلست نور على الأرض، ووضعت أوراقها وأقلامها وصورة ناجي، وساد الصمت في حياتها مرة أخرى، وجاء الليل ولكن لم تشرق الشمس، كانت السماء ملبدة بالغيوم، كأنها أرواح الموتى الغائبين يعودون لنا، كان يومًا جفت فيه دموع نور، ولم تعد تكتب لأن الغيوم سجنته

محتويات الكتاب

الإهداء 4

قلبٌ عازبٌ 5

عندما ينطفئ شعاع الشمس 7

أحلامٌ من ورق 10

نعم قتلتها 15

قلبٌ ورصاصة 19

الفارس الأبيض 23

ليالي الوحدة 24

صرخة قلب 26

فراشات 31

بكاء عصفور 34

دموع جريئة 37

أيدٍ باردة 39

ظلُّ أخي 42

قطة وذئب 46

بائع القلوب 50

بصمة عار 52
امرأة قتلها الحب 56
أحببت رجلاً شرقيا 61
قلم و خنجر 64
بيوت بلا جدران 67
الضحية 71
عيون ريم 73
جف القلم 77
محتويات الديوان 93

تمت بحمد الله

جريمة نائمة

مجموعة قصصية

عفاف علي

الطبعة الأولى
1441 هـ 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com